# الجماعة الإسلامية في لبنان

## 1975 – 2000


إعداد

أمـــل عيتاني  رنا سعادة  فاطمة عيتاني

إشراف وتحرير

د. محسن محمد صالح



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

# الفصل الثالث

# المقاومة والعمل الجهادي

# المقاومة والعمل الجهادي

## مقدمة: البدايات الأولى:

كان من الصعوبة بمكان خلال إعداد هذه الدراسة الفصل بين العمل السياسي والعمل العسكري، نظراً للعلاقة السببية بينهما، إذ دفعت العديد من الأحداث والأزمات السياسية بالجماعة الإسلامية إلى خيار المقاومة. ومنذ اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية وحتى توقيع اتفاق الطائف حافظت الجماعة على أشكال مختلفة من الوجود الدفاعي العلني حيناً والسري أحياناً، وكان لها تشكيلات أمنية باختلاف الظروف والبيئات والأوقات التي مرَّت على لبنان؛ من الدفاع عن الوجود في المدن والقرى في مواجهة المعتدين إلى مقاومة الاحتلال الصهيوني وعملائه؛ مما جعل الجماعة الإسلامية خياراً أمنياً دفاعياً جديراً بالدراسة والتوثيق.

ركّزت الجماعة في الستينيات وحتى بداية السبعينيات على العمل الكشفي والرياضي، والذي كانوا يطلقون عليه اسم "الفتوة" آنذاك، من خلال المخيمات التي كانوا يمارسون من خلالها النظام المرصوص والتسلق والتدريبات الرياضية القوية، وقد يكون من بين ما يتمرنون عليه أحياناً عملية الرمي بالسلاح والتدرب عليه. ومن الناحية العسكرية ثمة رافد مهم كان يساعدهم آنذاك وهو التدريب العسكري ضمن المدارس، والذي كان يتم بشكل رسمي بإشراف الجيش اللبناني، بل هو إلزامي لطلاب المدارس الثانوية. وهذا يدل على أن الاستعدادات العسكرية لأفراد الجماعة لم تكن خارجة عن النظام العام[1].

بدأت التدريبات الفعلية على السلاح سنة 1972، وكان التدريب على الأسلحة الخفيفة فيما يسمى دورة مقاتل عادي أو دورة عرفاء؛ وذلك على رشاشات الكلاشينكوف Kalashnikov، والدكتريوف Degtyaryov، والسيمينوف Samozaryadnyi Karabin sistemi Simonova (SKS)، والقنابل اليدوية، والآر بي جي RPG، والدوشكا DShK، وذلك بإشراف مدرب متخصص تلقى دورات عسكرية. وتوالى عدد من اللبنانيين على تدريب هذه المجموعات، وفي تلك

[1] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع محمد علي ضناوي، طرابلس، 2006/12/15.

الآونة لم يكن يسمح بالتدريب إلا للإخوة الملتزمين. ومع إرهاصات الحرب اللبنانية سنة 1974، أصبح للجماعة نقطة تدريب خاصة وكان يأتي إليها أعضاء الجماعة من كل المناطق اللبنانية للتدريب من صيدا، والإقليم، وطرابلس، وبيروت أيام الجمعة، والسبت، والأحد، وكان الأمر شبه إلزامي لكل عناصر الجماعة. وفي بداية سنة 1975، تطور التدريب أكثر وجرى الاستعانة بضباط ذوي خبرات عسكرية جيدة بعد انفراط عقد الجيش اللبناني، وجرت دورات تدريبية لأمراء فصائل استمرت قرابة الشهر، وكانت من أهم الدورات التدريبية في تاريخ الجماعة[2].

كان لدى أعضاء الجماعة أسلحة فردية خاصة، كل عنصر قد اشتراها لنفسه، ومع بداية سنة 1975، جرى شراء بعض الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، وفي بعض الأحيان كانت عمليات الشراء هذه تتم بجهد فردي في الجماعة، كما أن جيش لبنان العربي كان قد زوّد الجماعة ببعض الأسلحة الثقيلة من بعض الثكنات العسكرية اللبنانية في طرابلس لمساعدته في حربه ضدّ الانعزاليين والطائفيين.

## أولاً: الجماعة الإسلامية والحرب الأهلية:

عند اندلاع الحرب سنة 1975، ظهرت قوة الاستعدادات والتحضيرات التي كانت لدى كلّ أطراف الصراع سواء من جانب المسيحيين؛ مثل حزب الكتائب الذي كان لديه أصلاً تدريبات علنية سابقة، والمردة، والأحرار، وغيرهم، أم من جانب المسلمين مثل جند الله، وحركة 24 تشرين، والبعث العراقي، والبعث العربي، وغيرهم، فالكل كان على أهبة الاستعداد وعلى جاهزية تامة خصوصاً على المستوى العسكري.

كان من أبرز العمليات التي أشعلت فتيل الحرب هي قتل الزغرتاويين مجموعة من الطرابلسيين ورميهم على طريق زغرتا – طرابلس، وذلك ما سمي فيما بعد القتل على الهوية، ومنها انطلقت "حرب السنتين" (فرع الشمال) إن صحّ التعبير. ورأت الجماعة أن ما صدر من بعض المسيحيين آنذاك هو قضية مبدئية عقائدية بامتياز، وأنهم يعملون في حرب تطهير عرقي، وأطلقت الجماعة مثل هذه التحذيرات والتخوفات، كما أطلقت

[2] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع أسعد هرموش، بيروت، 2006/9/4.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الحركة الوطنية على الطرف المسيحي الماروني اسماً ولقباً ظلّ ملازماً لإعلامها، وبياناتها، وخطاباتها وهو "الانعزاليون"، وكان ذلك في أول عدد وعلى الصفحة الأولى لنشرة "المجاهد"، التي كانت تُعدُّ بمثابة الإعلام الحربي المكتوب للتنظيم العسكري (المجاهدون) للجماعة.

مع اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في نيسان/أبريل 1975، أعلنت الجماعة عن دورات تدريبية عسكرية سريعة، وقبلت في تنظيم المجاهدون عناصر من خارج الجماعة، إلا أن أغلبهم كان من المتدينين، وتشكلت لجنة سياسية لتشرف على هذا التنظيم من بينهم محمد علي الضناوي، وإبراهيم المصري، وعيّن الضابط السابق في الجيش اللبناني المهندس عبد الفتاح زيادة[3] قائداً لهذا التنظيم.

دخلت الجماعة الإسلامية في طرابلس أولاً المعترك العسكري بخطة دفاعية، إذ لم تبادر إلى الهجوم في أي من العمليات العسكرية التي قامت بها. وكانت خطتها مبنية على إقامة أحزمة دفاعية حول مناطق التماس في كل من طرابلس – الضنية وبيروت وصيدا لاحقاً. واصطفت الجماعة إلى جانب الفصائل الوطنية بغية درء خطر[4] القوى العسكرية المارونية. وأقامت مراكز تدريب في جبال الضنية شمال لبنان، وفتحت مراكزها لتدريب الناشئة من الشباب، حيث قارب عدد من تلقوا تلك التدريبات الخمسة آلاف شاب بالإضافة إلى المئات من الفتيات. وفقدت الجماعة الإسلامية خلال المعارك التي خاضتها عشرات الشهداء، كما خلّفت المعارك عدداً من المعوقين والجرحى[5]. وعلى الرغم من اختلاف تجربة تشكيلات تنظيم المجاهدون في المناطق، إلا أن كل هذه

---

[3] ولد عبد الفتاح زيادة سنة 1934، نشأ وترعرع في بيت وبيئة متدينة كانت والدته تحفظ القرآن الكريم منذ صغرها. التحق بالمدرسة الحربية وتخرج برتبة ملازم، وتلقى دورات عسكرية عدة في لبنان وخارجه، وقد كان في السنة الثانية يتردد على مقر عباد الرحمن في طرابلس، وتلقى فكر الإخوان المسلمين عن طريق الكتب الموجودة في الكلية الإسلامية بطرابلس، حيث قرأ كل كتب الإخوان الموجودة هناك. وفي سنة 1960، تقدم باستقالته من الجيش اللبناني وهو ما يزال برتبة ملازم، وذلك لعدم الترقية، ولما لاحظه يومها من تمييز طائفي، ولم تكن تقبل الاستقالات آنذاك في الجيش اللبناني، إلا أنها قبلت منه. بعد استقالته من الجيش سافر إلى فرنسا لإكمال دراساته العليا، وكان يتردد إلى لبنان، إلى أن عاد سنة 1975، وتسلم قيادة الجناح العسكري للجماعة الإسلامية (المجاهدون). وكان له فضل كبير في هذا المجال داخل مراكز الجماعة كما يشهد به الكثير من قادتها وأعضائها، إضافة إلى الروح الإسلامية، وحسن التربية التي كان يتمتع بها، والتي كانت تظهر من خلال شروطه في الجندي من جنود المجاهدون، وما كان يلزمهم به من الدروس الدينية والحلقات الحركية والمحاضرات الإسلامية، والأذكار إلى جانب عملهم العسكري. توفي في 2006/12/22 إثر مرض أصابه.

[4] انظر: أمانة الإعلام في الجماعة الإسلامية، **الجماعة الإسلامية في الأزمة اللبنانية**، ص 7.

[5] **المرجع نفسه**.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

التشكيلات حرصت على الالتزام الأخلاقي بعيداً عن روح العصبية والطائفية، فامتنعوا عن القتل والإيذاء على الهوية، كما ترفعوا عن ضرب ممتلكات الناس لمجرد انتمائهم الطائفي. وترى الجماعة أنها من خلال تنظيم المجاهدون "نجحت في تخريج المقاتل المسلم والمجاهد المسلم، الذي يلتزم في حروبه ومعاركه حدود الشرع الحنيف وأخلاق المسلمين الصادقين"[6]. وقد كان للمناقبية العالية التي يتمتع بها عناصر المجاهدون دور في رفد الجماعة الإسلامية بعناصر جديدة شاركت في المعارك مع المجاهدون، ولكنها لم تكن منتمية تنظيمياً إلى الجماعة[7]. استمر وجود تنظيم المجاهدون خلال حرب السنتين أي 1975 و1976، ومع دخول الجيش السوري إلى لبنان جرى تفكيك التنظيم. أما في صيدا، فاستمر التنظيم لفترة أطول لاعتبارات متصلة بالواقع الجنوبي.

وقد عقدت الأحزاب الوطنية، والتقدمية، والهيئات الإسلامية، والشخصيات الروحية والسياسية والوطنية، والتجمع الوطني للعمل الاجتماعي، والنقابات المهنية والعمالية، والفعاليات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، مؤتمراً عاماً في طرابلس في 1976/1/7، بحثت فيه الحالة اللبنانية بشكل عام وواقع المسلمين ومطالبهم بشكل خاص، وصدرت عنه المقررات التالية:

أ. يلتزم المؤتمرون بالعمل على:

1. تعديل الدستور باتجاه تحقيق التوازن داخل السلطة التنفيذية.
2. تعديل قانون الانتخاب بشكل يتيح تحقيق تمثيل شعبي صادق وفقاً لنظام التمثيل النسبي.
3. إلغاء الطائفية السياسية بكل مظاهرها.
4. وضع سياسة وطنية للتعليم وتنمية القيم الروحية والأخلاقية.
5. تأمين استقلال السلطة القضائية وإنشاء محكمة دستورية عليا.
6. تطوير النظام الاقتصادي والقوانين الضريبية لتحقيق العدالة الاجتماعية.
7. تعديل قانون الجيش بشكل يعيد لهذه المؤسسة وجهها الوطني ودورها الأساسي في حماية حدود هذا الوطن ووحدة أراضيه وكرامة أبنائه.

---

[6] **المرجع نفسه**، ص 17.

[7] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع أسعد هرموش، طرابلس، 2011/7/1.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

8. وضع قانون جديد للتجنس تمنح بموجبه الجنسية لجميع المكتومين كأمثال عرب وادي خالد والأكراد.

ب. التأكيد على عروبة لبنان وسيادته، مع ما يستتبع ذلك من التزام بالقضية الفلسطينية، وتلاحم مع الثورة الفلسطينية، واحترام للمواثيق المعقودة معها بشكل يضمن تحقيق أهدافها.

ج. التأكيد على ضرورة إحباط كل محاولة للانحراف بالنضال الوطني نحو المسالك الطائفية.

د. دعم الجبهة السياسية الواحدة وتأكيد وحدتها.

هـ. توحيد القيادة العسكرية.

و. دعم قوة الارتباط الأمنية وفق خطة يتفق عليها للحفاظ على أمن المدينة وسلامتها[8].

ويرى أحد قادة المجاهدون في مقابلة أجرتها معه صحيفة الأخبار اللبنانية، حول نظرته للمعركة في لبنان، أن الصراع الدائر فيه هو صراع ضدّ التسلط الطائفي، والامتيازات أو المكتسبات الطائفية، وأن الدخول في الحرب هو في سبيل تحقيق المطالب المتمثلة في العدالة والمساواة بين جميع المواطنين بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية[9].

## ثانياً: تنظيم المجاهدون: الجماعة الإسلامية والقوى المساندة لها:

### 1. تنظيم المجاهدون في طرابلس والشمال:

تأسس تنظيم المجاهدون في طرابلس والشمال سنة 1975 في بداية الحرب الأهلية، لتحقيق الأهداف الدفاعية التي حددتها الجماعة الإسلامية، فكان لها حضور في طرابلس والضنية. وقد حرصت الجماعة من خلال عملها العسكري على عدم السماح للقوى المسيحية "الانعزالية" بالوصول إلى طرابلس، والدفاع قدر المستطاع عن منطقتي الكورة والقلمون، وتأمين حماية طريق طرابلس – الضنية، وعدم سقوط قرية مرياطة التي كانت تشكل الخط الوحيد الذي يربط طرابلس بالقرى الإسلامية المحيطة بها. بدأ

[8] نشرة **المجاهد**، صوت الجماهير المؤمنة في الشمال، العدد 14، 1976/1/12، ص 2.

[9] نشرة **المجاهد**، صوت الجماهير المؤمنة في الشمال، العدد 31، 1976/5/24، ص 2.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

التنظيم تدريباته في الضنية، كما أقام عدداً من الدورات التدريبية في طرابلس، وشارك في الدفاع عن المدينة[10]، فقام بعمليات نوعية بمفرده، كما شارك فصائل الحركة الوطنية في تطهير طرابلس وضواحيها من المردة، ومن ثم القضاء على تحصيناتهم لا سيّما مدرسة الآباء الكرمليين على مشارف زغرتا[11]. وانفرد المجاهدون في حماية منطقة الضنية من خلال حزام الدفاع القوي الذي أقيم على شكل خنادق ودشم على امتداد سبعة كيلومترات تقريباً[12]، وبالقيام بعملية نوعية باتجاه بلدة مجدليا التي تفصل طرابلس عن زغرتا، وتطهير البلدة من القوى الانعزالية المعادية[13].

كان المركز الرئيسي لتنظيم المجاهدون في دار المعلمين بطرابلس يحتوي على الإذاعة، ونقطة القيادة والتدريب، وتوزيع المهام.

كان تمويل التنظيم ذاتياً، فقد كان على كل عنصر من الجماعة مقتدر مادياً أن يشتري سلاحه وذخيرته[14]. وتمت أول صفقة أسلحة من خلال اقتطاع نصف رواتب الإخوة لدفع ثمنها[15]. غير أن الحاجة فيما بعد إلى السلاح المتوسط تمّ تلبيتها من خلال المساعدات، والتبرعات، والهبات[16]. وقد كان للعناصر زيّ عسكري أخضر موحد، وكانوا معروفين بالكوفية السوداء التي كانت رمزاً مرادفاً لتنظيم المجاهدون. جرى توزيع العناصر على فصائل، يتكون كل فصيل منها من حظيرتين، في كل واحدة سبعة عناصر، بالإضافة إلى آمر الفصيل، أو قائده. تلقى قادة الفصائل تدريبات عسكرية على أيدي ضباط متخصصين من جيش لبنان العربي، ومعهم مدربون من الجماعة الإسلامية، فكانت التدريبات موازية للتدريبات التي يتلقاها الضباط في المدرسة الحربية التابعة للجيش اللبناني[17]. وكان يوجد في طرابلس مجموعة من الإخوان المدربين، من

---

[10] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع أسعد هرموش، طرابلس، 2011/7/1.

[11] مدرسة تبشيرية بُنيت قبل الأحداث بسنتين في منطقة مسيطرة على طرابلس، فكانت أشبه بقلعة ذات فعالية استراتيجية.

[12] انظر: أمانة الإعلام في الجماعة الإسلامية، **الجماعة الإسلامية في الأزمة اللبنانية**، ص 7.

[13] **المرجع نفسه**، ص 15؛ وملحق نشرة **المجاهد**، صوت الجماهير المؤمنة في الشمال، 1976/3/28.

[14] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع أسعد هرموش، طرابلس، 2011/7/1.

[15] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع عبد الله بابتي، طرابلس، 2011/4/26.

[16] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع أسعد هرموش، طرابلس، 2011/7/1.

[17] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

ضباط الجيش اللبناني، منهم عبد الفتاح زيادة، الذي تسلم القيادة في الشمال خلال السنوات 1975–1985[18]. كما خضعت كل عناصر الجماعة في كل أنحاء لبنان لدورات تدريبية، ودورات في الرماية بالأسلحة المتوسطة، والخفيفة[19]. ثم تمّ تحويل التنظيم المناطقي إلى فصائلي، فأُنشأت هيكلية تنظيمية قائمة على الفصيل المرتكز إلى ثلاث مجموعات، كل مجموعة تتكون من عشرة عناصر، وتمّ الانتهاء من تطوير هذه الهيكلية سنة 1983[20].

وخلال الفترة 1976–1985، كانت العناصر التي تقاتل في الجماعة مقسمة إلى ثلاث دوائر؛ دائرة الإخوان الملتزمين في الجماعة، ودائرة المقربين والحلقات، ودائرة التعبئة العامة؛ التي كانت تتألف من الأنصار الذين يستنفرون وقت الحدث، ويسرَّحون عند انتهائه، ووصل مجموع المقاتلين في الشمال خلال هذه الفترة قرابة أربعة آلاف مقاتل[21].

حافظ تنظيم المجاهدون على علاقة جيدة مع جيش لبنان العربي الذي يمتلك عناصره حداً معقولاً من الالتزام الديني، فقد خرجت عناصره عن قيادة الجيش التي كانت تسير به إلى الانحياز للقوى المسيحية؛ ولذلك، كانت زيارات أحمد الخطيب، وأحمد معماري الذي تسلم فيما بعد قيادة جيش لبنان العربي في الشمال، تتم في المساجد، ففي إحدى المرات "نظم استقبال للخطيب ومعماري في المسجد المنصوري الكبير فخرجت طرابلس كلها لاستقباله"[22].

انضم إلى تنظيم المجاهدون عناصر من خارج الجماعة، وقد وضعوا أيديهم على بعض المدارس الكبرى، وحولوها إلى ثكنات عسكرية فحافظوا عليها وحموها، وتشهد وزارة التربية أن مبنى دار المعلمين والمعلمات في طرابلس، وهو من أهم المراكز التابعة للمركز التربوي للبحوث والإنماء، أعيد عند انتهاء حرب السنتين إلى الوزارة بكل كتبه، وأثاثه، ومعداته، لدرجة أنه لم يفقد قلماً. في حين أنه كان من المعروف أن العناصر المسلحة

---

[18] المرجع نفسه.

[19] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع أسعد هرموش، طرابلس، 2011/7/1.

[20] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.

[21] المرجع نفسه.

[22] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع أسعد هرموش، طرابلس، 2011/7/1.

كانت إذا احتلت مركزاً أو مدرسة كانت تعيث به فساداً بعد خروجها. وقد دفع هذا الأمر وزارة التربية إلى توجيه رسالة شكر للجماعة الإسلامية لمحافظتها على المكان. وأظهر تنظيم المجاهدون "الوجه المشرق للعمل المسلح، وأكد حضور الجماعة في هذا المجال، وكان أداؤه جهادياً صافياً"؛ حيث ابتعدت الجماعة عن ممارسة المظاهر السلبية التي كانت شائعة بين الفصائل المسلحة، من فرض الإتاوات، والقتل على الهوية، والاعتداء على الناس، وتدمير البيوت والممتلكات، ونهب المحال التجارية، وحرق السيارات. مما دفع الناس إلى النظر بعين الرضا إلى تنظيم المجاهدون والانضمام إلى صفوف الجماعة. ومن ناحية أخرى كانت هناك الكثير من حملات النظافة، والتبرع بالدم، والتمريض، والتموين، والإغاثة، قامت بها عناصر نسائية، مما أسهم في رفد العناصر على الجبهات بالدعم، والتأييد[23].

بعد انتهاء الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وخروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت توجه ياسر عرفات إلى الحاضنة الشمالية وعاصمتها طرابلس، حيث حركة التوحيد الإسلامي القوة الأكبر داخل المدينة. وبالتالي أصبحت خريطة القوى في محافظة الشمال على الشكل التالي:

أ. الجيش السوري يتواجد في كافة مناطق محافظة الشمال، الممتد من عكار إلى الكورة مروراً بمنطقة الضنية.

ب. القوى اليسارية تتواجد في تلك المناطق أيضاً، وبالتحديد في منطقة الكورة وأهمها: الحزب القومي السوري، والحزب الشيوعي، وحزب البعث السوري، بالإضافة إلى حضور مؤثر لتلك القوى داخل مدينة طرابلس وخصوصاً في منطقة البلد.

ج. حركة التوحيد الإسلامي والجماعة الإسلامية، بالإضافة إلى بعض الحركات الإسلامية أيضاً تتواجد في مدينة طرابلس. كما أن لحركة التوحيد اليد الطولى في إدارة شؤون المدينة، والاستفادة من مقدراتها.

د. دخول منظمة التحرير الفلسطينية على ميزان القوى الطرابلسي، مع قطاعات مؤثرة وفعالة من قدراتها العسكرية، بقيادة ياسر عرفات نفسه[24].

---

[23] المرجع نفسه.

[24] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

وبالتالي ارتسمت خريطة القوى الجديدة في منطقة الشمال على الشكل التالي:

أ. الجيش السوري من خارج المدينة مع حلفائه اليساريين داخلها، وبالتحديد في منطقتي البلد والميناء.

ب. حركة التوحيد وبقية القوى الإسلامية المتحالفة مع منظمة التحرير بقيادة أبو عمار، بالإضافة إلى الجماعة الإسلامية داخل المدينة[25].

إزاء هذه الخريطة لانتشار القوى في الشمال كانت طرابلس منطقة الاحتكاك المباشر ما بين القوى الإسلامية، وعلى رأسها حركة التوحيد، وبين القوى اليسارية وفي مقدمتها الحزب القومي، والحزب الشيوعي. المجموعة الأولى مدعومة من ياسر عرفات، أما الثانية فكانت متحالفة مع السوريين. وبالتالي بدأ الصراع بين الكبار من أجل سيطرة كل طرف على المدينة من الداخل[26].

لم تكن الجماعة الإسلامية في وارد الدخول بمعركة ضدّ أحد داخل المدينة، لأن ذلك يعدُّ امتداداً للمعارك الداخلية التي تستفيد منها "إسرائيل" بشكل مباشر. وكان جلُّ اهتمامها منصباً على تدريب الإخوة المقاومين في جرود الضنية، من أجل نشرهم في المناطق الجنوبية، استعداداً لتنفيذ العمليات ضدّ المحتل الإسرائيلي[27].

كانت طرابلس مثل سائر المناطق والمدن اللبنانية التي دفعت ثمن مواقفها الحرة في مواجهة التسلط الأمني السوري على المدينة، فارتفعت وتيرة الصراع إلى حدّ المواجهة العسكرية بين الجيش السوري والأحزاب التابعة له، وبين سائر الفصائل والقوى الإسلامية في المدينة[28].

تشكلت عدة محاور وجبهات مواجهة حول نطاق المناطق السكنية للأحياء، أهمها محور البحصاص – تلة "مون ميشال" – الزيتون، وهذا هو المحور الجنوبي، ومحور الزيتون – أبي سمرا، وهو المحور الشرقي. انتشر المجاهدون من عناصر الجماعة في مواقع خارج الحيز السكني، وأنشأوا مواقع، ونقاط دفاعية، ترتكز على الحفر الفردية، والدشم، وخنادق الاتصال والقتال، للصمود أمام كثافة نيران الجيش السوري الذي

[25] المرجع نفسه.

[26] المرجع نفسه.

[27] المرجع نفسه.

[28] المرجع نفسه.

يتمتع بتفوق ناري كثيف من أسلحة الرشاشات الثقيلة من عيار 14.5 و23 ملم، ومدافع الهاون Mortar من عيار 82 و120 ملم، بالإضافة إلى القوة النارية الهادرة والمدمرة المنبثقة من راجمات الصواريخ، وخصوصاً الغراد Grad من عيار 122 ملم[29].

يقول أحد كوادر تنظيم المجاهدون واصفاً عمليات الدفاع عن طرابلس في مواجهة الجيش السوري:

> كان يوم الأحد يوماً ساخناً على الجبهة، الجيش السوري يمطر المناطق الدفاعية بوابل من النيران الغزيرة، والرشاشات الثقيلة كانت تقتلع جذوع وأغصان الزيتون، وقذائف الهاون كانت تدوي لتنشر شظاياها في كل اتجاه. أما المجاهدون فتحصنوا في الحفر الفردية المحفورة بين أشجار الزيتون، لا يستطيعون رفع رؤوسهم من شدة القصف وهول الموقف، ولم يقتصر المشهد على ما ذكرنا بل تعداه إلى هطول الأمطار الغزيرة التي ملأت جميع الحفر الفردية بالماء الموحل، فاضطر كل مجاهد أن يبقى مرابطاً في مكانه حتى الفجر، صابراً على صقيع ماء الحفرة خوفاً من النار المتساقطة حولها. وكم سررنا عند الصباح عندما شاهدنا بأم العين أن الكثير من قذائف الهاون القريبة من الحفر لم تنفجر بسبب التربة اللينة التي امتصت صدمة القذيفة[30].

لقد ظلّ الوضع على ما هو عليه حتى أخذ الجيش السوري القرار بدخول المدينة عنوة سنة 1985، وتضافرت كل القوى المدافعة عن المدينة لردّ هذا الاعتداء مهما كلف الأمر، فكانت معركة طرابلس الشهيرة[31].

لم تنجح كل محاولات الجيش السوري في اختراق المدينة عنوة بالرغم من الاقتحامات المتكررة، فقد صدّ شباب الجماعة وحلفاؤها هذه الهجمات وكبدوها خسائر فادحة في الأرواح، حتى قيل بأن عدد القتلى لدى السوريين زاد عن الحدّ المتوقع، لدرجة أن القيادة السورية أمرت بسحب القتلى من أرض المعركة، ثمَّ وضعهم في صناديق الأسلحة والصواريخ الثقيلة؛ لأن النعوش قد نفذت منذ الأيام الأولى للمعركة[32].

---

[29] المرجع نفسه.

[30] المرجع نفسه.

[31] المرجع نفسه.

[32] المرجع نفسه.

لم تتصدع جبهة الدفاع بالرغم من غزارة نيران المهاجمين وضراوة المعركة؛ فقد كان كل شيء يسير كما هو مخطط له من الناحية التكتيكية، ولكن كان هناك ثغرات في نواحي عدة، أهمها:

أ. لم يكن التنسيق متكاملاً بين القوى المتعددة، بحيث ظهرت بعض الثغرات في محاور القتال.

ب. آلاف المسلحين من التنظيمات الأخرى المدافعة لم تكن لهم فاعلية، لأن معظمهم كانوا بعيدين، في المؤخرة يتحركون بغير هدى وبدون أي هدف.

ج. نفاذ الذخيرة من القوى الفاعلة والمدافعة، جراء الاشتباكات العنيفة والمتكررة.

د. تراجع قدرة المدنيين على التحمل، بسبب المعاناة الهائلة التي تعرضوا لها، علماً بأنهم كانوا الحاضنة المادية والمعنوية للمجاهدين[33].

من أجل هذه الأسباب وغيرها، قررت القيادات السياسية للمدينة التفاوض مع السوريين، من أجل وقف القتال، وحقن الدماء، وتأمين دخول القوات السورية ضمن شروط محدودة. وطبّق الاتفاق لتنتهي معه حقبة العمل العسكري المسلح في مدينة طرابلس[34]. غير أن القوات السورية ارتكبت مجزرة في منطقة التبانة، ذهب ضحيتها أكثر من مئتي مواطن حسب تقرير لمنظمة العفو الدولية Amnesty International أصدرته في شباط/ فبراير 1987، ووصل عدد الضحايا حسب تقديرات، غير رسمية، إلى سبعمئة مواطن مدني من أبناء طرابلس[35].

## 2. تنظيم المجاهدون في بيروت:

تأخرت بيروت عن مناطق الشمال في تشكيل تنظيم المجاهدون فيها، ويعزى السبب إلى أن حركة فتح، والأحزاب اليسارية كانت هي المهيمنة على الأجواء البيروتية من

---

[33] المرجع نفسه.

[34] المرجع نفسه.

[35] Amnesty International, Arbitrary Arrests, "Disappearances" and Extrajudicial Executions By Syrian Troops and Syrian-Backed Forces in Tripoli, 29/2/1987, MDE 24/02/87, Damascus Center for Human Rights studies,
http://www.dchrs.org/english/File/EnforcedDisappearances/1987LebanonArbitaryArrests DisapperancesAndExtrajudicalExecutions.pdf
وانظر أيضاً: التقرير المحظور: "علي عيد" في "مجزرة التبّانة 1987"، الإعدامات والمقابر الجماعية، موقع شفاف الشرق الأوسط، 2013/11/10؛ وأرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.

الناحيتين السياسية والعسكرية، بالإضافة إلى أن الجماعة كانت تعتمد على التمويل الذاتي، في حين كانت القوى الأخرى تتلقى السلاح من دول خارجية أو من منظمات فلسطينية. مع بداية الحرب اللبنانية بدأت الجماعة الإسلامية ومعها الأوساط الإسلامية الناشطة، تشعر بالحاجة إلى وجود تنظيم إسلامي مسلح شأنها شأن كل الأحزاب، لا سيّما أن المعركة اتخذت طابعاً طائفياً بين المسلمين والمسيحيين. وجدت الجماعة ومعها الأطراف المذكورة أن عليها واجب الدفاع عن النفس والمناطق ذات الكثافة الإسلامية، فتداعت الجماعة الإسلامية وجماعة عباد الرحمن والحركة التصحيحية في حزب النجادة بقيادة جميل دعبول، وبعض الشخصيات الإسلامية في المساجد ومنهم عبد المجيد منيمنة، ومواهب فتح الله، وعمر غندور، والتقوا على تأسيس ما سمي بـ"جبهة الميثاق الإسلامي"، التي هدفت إلى تشكيل تنظيم عسكري للأطراف ذات الاتجاه الإسلامي كبقية الأحزاب. وتمّ الاتفاق على ذلك، وقاموا بجمع الأموال والتبرعات واشتروا بها السلاح للتجهيز الأولي. غير أن جماعة عباد الرحمن انسحبت[36].

لم تستطع جبهة الميثاق الإسلامي استقطاب عدد كبير من العناصر، فتحول الأمر إلى ما سمي بتنظيم "المجاهدون – الجناح العسكري للجماعة الإسلامية والقوى المساندة". وقد حرصت الجماعة من خلال تلك التسمية إلى إبراز وجود عناصر أخرى مساندة للمجاهدين، غير منتمية تنظيمياً للجماعة، ولكنها مؤيدة لتوجهاتها وتتعاون معها. نظم المجاهدون تشكيلات عسكرية التحق بها الكثير من العناصر، والشبان، وخصوصاً الذين كانوا يتابعون حلقات دينية، وتنظيمية مع الجماعة. اتخذ التنظيم من مسجد ومدرسة قريطم في منطقة رأس بيروت مركزاً أساسياً له ومنطلقاً لعناصره، وكان يؤمن الاحتياجات اللوجيستية، وتقام فيه المحاضرات، وتنظم فيه الحراسات. تلقت العناصر الأولى من الملتحقين بتنظيم المجاهدون، الذي كان سليم استيتية مسؤوله العسكري في بيروت، تدريباتها في الضنية، وفاق عدد عناصر المجاهدون في بيروت المئة عنصر[37].

كان لا بدّ لتجربة من هذا النوع أن تأخذ الهيكلية التنظيمية بعين الاعتبار لأنها من أساس البنية العسكرية التي تُعتمد في القوى الحية والجيوش الحديثة. فكانت المنطقة العسكرية تقسم إلى سرايا والسرية إلى فصائل. والفصيل إلى عدة مجموعات وذلك

[36] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع سليم استيتية، بيروت، 2011/5/23.

[37] مقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع سليم استيتية، بيروت، 2015/10/8.

تسهيلاً لعمليات القيادة والسيطرة والاتصال. بالإضافة إلى توحيد الزيّ العسكري الذي كان يضفي على الوحدة القتالية مظهر الهيبة والانضباط[38]، وهو عبارة عن بدلة عسكرية لونها زيتي، وكوفية سوداء، وشعار المجاهدون ذي اللون الأصفر على الزند[39].

وعندما أصبحت العناصر على أهبة الاستعداد للمضي في العمل العسكري، أخذ التنظيم موقعاً له على ما كان يسمى خطوط التماس بين شطري العاصمة بيروت الغربي والشرقي. وكان المجاهدون ينظمون حراسات دورية بالتناوب مع تنظيمات أخرى. وعلى الرغم من حصول مواجهات عسكرية مباشرة، إلا أن المهمة الأساسية للمجاهدون في بيروت كانت دفاعية، وليست هجومية. أما الردُّ فكان يتوقف على حصول هجوم ما على بيروت الغربية[40].

شارك تنظيم المجاهدون ببيروت في مواجهة الكتائب اللبنانية، حيث كان عناصر المجاهدون يرابطون على أكثر من محور في منطقة رأس النبع – السوديكو (بشارة الخوري)، وهذا الخط، الذي يحتوي عدة محاور، كان في مواجهة محاور حزب الكتائب تحديداً في منطقة الأشرفية. وكانت محاور الكتائب في مدرسة الليسيه، وحي بيضون، ومنطقة مقابر اليهود، وصولاً إلى السوديكو. كان التعاون بين المجاهدون وحركة فتح قائماً في بيروت وفي كل المناطق اللبنانية، نظراً لوجود قيادات فيها ذات خلفية إسلامية، ونظراً للعلاقة القديمة التي تربط ياسر عرفات بعدد من قيادات الإخوان المسلمين. كما كان المجاهدون على علاقة مع المرابطون، والاتحاد الاشتراكي العربي، وبعض عناصر جند الله، وكانوا يمتلكون الرشاشات الفردية، ورشاشات 500، والهاونات، وقذائف الـ آر بي جي، وقد بقوا على هذه المحاور طوال فترة حرب السنتين 1975–1976[41]. كما كان هناك تنسيق بين الجماعة الإسلامية والشباب المسلم (الأحباش) على مواقع المحاور[42]. وسقط للجماعة عدة جرحى جراء سقوط صواريخ بالقرب من محور منطقة الطبية

[38] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.

[39] مقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع سليم استيتية، بيروت، 2015/10/8.

[40] المرجع نفسه.

[41] المرجع نفسه؛ ونقلاً عن أحد المجاهدين في بيروت، اعتذر عن كتابة اسمه الصريح.

[42] مقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع سليم استيتية، بيروت، 2015/10/8.

في رأس النبع، منهم مازن فروخ الذي أصيب إصابة بليغة حينها، وسليم استيتية. وكان لمجموعة من النساء دور لوجيستي بإمداد المقاومين بالطعام كرفيقة شهاب زوجة إبراهيم شهاب، وإحسان حليق زوجة خضر غلاييني (أبو عبد)، وغيرهما[43].

قدم تنظيم المجاهدون في بيروت نموذجاً متميزاً من الأداء العسكري والأخلاقي، فحين حدثت أزمة وقود في بيروت، ابتكر المجاهدون وسيلة جديدة حيث أخذوا يتنقلون بكامل عتادهم وأسلحتهم على الدراجات الهوائية. وقد كان هذا الحدث محط أنظار صحيفة فرنسية صورت المشهد وجعلته صورة غلاف. وقد أعطت مشاركة قيادات الجماعة في عمليات الحراسة والدفاع عن الأرض دفعاً معنوياً للتنظيم، كما أعطى العمل العسكري سمعة واسماً للجماعة فصارت معروفة أكثر في الأوساط البيروتية. لم يؤثر دخول القوات السورية على الوضع الأمني لعناصر الجماعة، فلم يتعرضوا لأي نوع من الاعتقالات أو التحقيق على الأقل في الأعوام الثلاثة التي سبقت اندلاع الأزمة بين النظام وتنظيم الإخوان المسلمين في سورية[44]. ومع توقف العمل العسكري في بيروت، أخذت العناصر المدربة في تنظيم المجاهدون تقدم الدعم العسكري لمناطق أخرى، في صيدا وغيرها من المناطق التي كانت ما تزال ناشطة عسكرياً.

في سنة 1982، كان العمل العسكري في بيروت متوقفاً لسبب أساسي قاهر يتمثل بالوجود الأمني السوري في العاصمة، وخصوصاً بعدما تفاقمت أزمة الإخوان المسلمين السوريين مع النظام الحاكم في سورية التي أدت إلى معركة حماة الشهيرة[45]. في حزيران/ يونيو تلك السنة، كان الاجتياح الإسرائيلي للبنان الذي حشدت فيه "إسرائيل" كامل قدراتها العسكرية المرتكزة على سلاح الجو، والبر، والبحر، وفاجأت الجميع بكمية النيران المستخدمة، وتقدمها في العمق الجغرافي اللبناني، حتى وصلت إلى مدينة بيروت في غضون عدة أيام. إلا أن شجاعة الشباب ونداء الجهاد وارتفاع وتيرة التحدي، دفع بمجموعة من المجاهدين من أبناء الجماعة الإسلامية إلى تنظيم أنفسهم والقيام بدوريات غطت منطقة الشريط الساحلي لمدينة بيروت، خوفاً من عمليات إنزال بحرية يقوم بها العدو الإسرائيلي بشكل مفاجئ. وكان مسؤول هذه المجموعة

[43] المرجع نفسه.

[44] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع سليم استيتية، بيروت، 2011/5/23.

[45] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

وصاحب الفكرة والمبادرة هو عبد الحليم صفدية، الذي كان يدرس الطب في الجامعة الأمريكية حيث مسرح العمليات المرتقب[46]. هذا، بالإضافة إلى الدوريات التي كان ينظمها الشباب الفلسطينيون المنتمون إلى الجماعة الإسلامية في مخيم برج البراجنة في حي الليلكي، الذي كان يُعد خطّ تماس مع بيروت الشرقية وذلك بالتعاون والتنسيق مع جيش التحرير الفلسطيني. كما أسهم هؤلاء في التصدي للتقدم الإسرائيلي الذي كان يزحف باتجاه بيروت عبر محوري حي السلّم والليلكي؛ وخاضوا معارك عنيفة هناك، ولكنهم لم يستقلوا بعمل عسكري وحدهم، بل توزعوا وحاربوا من خلال التنظيمات العسكرية الفلسطينية التي كانت قائمة[47].

وبعد حصار دام نحو ثلاثة أشهر لمدينة بيروت، انسحب الجيش الإسرائيلي من محيطها ومن مناطق عدة من الجبل، كما تمّ خروج جميع مقاتلي منظمة التحرير. وعادت خطوط التماس بين شطري العاصمة إلى سخونتها من جديد. القوات اللبنانية وحزب الكتائب في المنطقة الشرقية، والحزب التقدمي الاشتراكي وحركة أمل، وبعض القوى الوطنية في المنطقة الغربية. هذا بالإضافة إلى غليان في منطقة الجبل، حيث كانت المعارك الشرسة تدور من تلة إلى تلة، ومن قرية إلى قرية بين الحزب التقدمي الاشتراكي المرتكز إلى قوى فلسطينية عديدة، وبين الجيش اللبناني بقيادة رئيس الجمهورية آنذاك أمين الجميل، الذي حاول الدفاع عن اتفاق 17 أيار فلم ينجح، وسقط الاتفاق بسقوط الجيش في الجبل ومنطقة بيروت الغربية.

أما مواجهة قوات الاحتلال الإسرائيلي قبيل احتلال العاصمة بيروت وبعده، فقد نظمت مجموعات محدودة عمليات ضدّ قوات الاحتلال، سواء داخل بيروت أم على الخط الواصل بينها وبين ساحل إقليم الخروب وبلدة الدامور، وكانت لعدد من شباب الجماعة مشاركة فعالة في هذه العمليات. وبالعودة إلى مدينة بيروت، فقد توالت فيها المواجهات، حتى بعد انسحاب القوات الإسرائيلية، حيث عادت بيروت شرقية وغربية[48]، وقد اعتمدت الجماعة أساساً على المتطوعين بسبب إمكانياتها المادية المحدودة، وتركز وجودها في محور أساسي فعال هو محور العازارية، المطل على ساحة الشهداء المتصلة

---

[46] المرجع نفسه.

[47] انظر: رأفت مرة، **الأحزاب والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 86.

[48] إبراهيم المصري، ملاحظات على مسودة النص التي تمّ استلامها في بيروت، 2015/12/11.

غرباً بمنطقة الصيفي حيث مركز الكتائب الرئيسي. وقد كانت مجموعات الحركة الوطنية تمطر مواقع الطرف الآخر بوابل من نيران الأسلحة الرشاشة، ثم تنسحب عبر ممرات سفلية دونما خسائر.

إن الرد العنيف للطرف الآخر بالمدفعية والأسلحة الثقيلة الأخرى على منطقة العازارية، ورياض الصلح، والباشورة، وبرج أبي حيدر، وكورنيش المزرعة، وصولاً إلى الكولا، كان خير دليل على فداحة الخسائر التي تكبدها الانعزاليون في تلك العمليات. وهذا ما دفع بنائب الأمين العام للجماعة الإسلامية إلى إرسال رسالة إلى قيادة المحور يطلب منها تهدئة الوضع، بعدما وصل إلى حدّ كبير من التصعيد الذي قد يدفع ثمنه المدنيون، وخصوصاً بعدما علم بأن عدداً من الجرحى سقطوا في الجوار القريب من مواقعنا[49].

## استشهاد الدكتور مازن فرّوخ[50]:

في مطلع سنة 1987، وخلال ما أطلق عليه "حرب المخيّمات" حين حاصرت حركة أمل المخيمات الفلسطينية في بيروت والجنوب، نفّذت مجموعة من شباب الجماعة الإسلامية وحزب الله عملية جهادية في إطار المقاومة الإسلامية ضدّ القوات الإسرائيلية المحتلة لجنوب لبنان، وغنموا فيها مجنزرة إسرائيلية، تحركوا بها إلى المناطق المحررة، ثم انتقلوا بها باتجاه بيروت. يروي إبراهيم المصري وقائع استشهاد مازن فرّوخ في ذلك اليوم كما يلي[51]:

> في مساء يوم 1987/1/1 اتصل بنا إخواننا العاملون في إطار المقاومة وأبلغونا أن الآليّة الإسرائيلية هي في طريقها إلى بيروت، وبالتالي فقد كان من الضروري المشاركة في استقبالها.
>
> كان فتحي يكن في منزل فيصل مولوي رحمهما الله، فتحرّكنا من هناك باتجاه منطقة الأوزاعي لاستقبال الموكب، وعندما تأخّر وصوله دخلنا مسجد

[49] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية؛ ونص رسالة نائب الأمين العام للجماعة الإسلامية إلى قائد المحور (نسخة محفوظة لدى مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات).

[50] أحد أبرز قادة الدعوة الإسلامية في لبنان، سافر في أواخر الستينيات إلى لندن، وتخصص في الفيزياء النووية، وعمل أستاذاً للفيزياء في الجامعة اللبنانية.

[51] إبراهيم المصري، ملاحظات على مسودة النص التي تمّ استلامها في بيروت، 2015/12/11.

الإمام الأوزاعي لأداء صلاة العشاء، ثم خرجنا، وجلس فتحي إلى جانب الشيخ فيصل في سيارته، وجلس إلى جانبي مازن فروّخ، والإخوة: سليم استيتية وخالد خطاب وولدي عمر في سيارتي.

اتجه الشيخ فيصل بسيارته إلى شارع الحمراء، بينما اتجهت ومن معي إلى الطريق الجديدة. وعندما وصلنا إلى محيط قصر رياض الصلح التقينا بالموكب، لذلك ذهبنا باتجاه السفارة الكويتية حيث وقفنا قرب محطة الرحاب، وبناءً لرغبة الإخوة في السيارة انتقلنا إلى الجانب الآخر عند مدخل مخيم شاتيلا للاجئين الفلسطينيين، وهناك أرسلت ولديعمر ليرى المشاركين في الموكب، وتوقّف الأخ سليم خلف السيّارة، بينما بقيت أنا والدكتور مازن، والأخ خالد جالسين في السيارة. هنا سقطت قذيقة مدفعية من موقع لم نعرفه قرب السيارة، فأصابت معظم شظاياها الأخ سليم، في رأسه وصدره وكلّ جسده، وأصابتني عدة شظايا في ظهري ورقبتي، بينما أصابت شظية خلفية رأس الدكتور مازن.

بقيت لحظات متمتعاً بوعيي، فأخذت مفاتيح السيارة وجهاز الاتصال وغادرت السيارة، لكنّي وقعت أرضاً بعد خطوات. أما الدكتور مازن فلم ينطق بكلمة، فجاء الإخوان ونقلونا إلى مستشفى الجامعة الأمريكية. وقد كان الحاج سليم مسجى إلى جانبي على سرير في غرفة واحدة، أما الدكتور مازن فلم أعلم بوفاته إلا بعد أيام، لأن الشظية استقرت في مؤخرة رأسه وأدّت إلى وفاته، يرحمه الله[52].

## 3. تنظيم المجاهدون في صيدا:

كان لصيدا خصوصيتها التي تختلف عن المناطق الأخرى، فالمدينة التي تضم مذاهب متعددة، تختلف عن غيرها من المناطق، حيث لم تطحنها رحى الطائفية، ولم تحدث مواجهات عسكرية بين طوائفها في بداية الحرب اللبنانية، وحتى عندما ذاقت المدينة جمر الحرب الطائفية فإنها زُجَّت فيها زجاً من قبل أطراف من خارج البيئة الصيداوية. فصيدا التي تشكل بوابة الجنوب، شكلت أيضاً المعبر التجاري والثقافي ونقطة وصل بين الجنوب، وإقليم الخروب، وبيروت عبر الخط الساحلي، وبسبب كثرة الوافدين إليها والخارجين من الجنوب عبرها، فقد توطدت علاقات وثيقة بين مختلف المذاهب

[52] المرجع نفسه.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

والمشارب، مما أعطى المدينة نكهة التعايش بين جميع الطوائف التي ربطتها علاقات تجارة، ومصاهرة مع كل المحيط الذي حولها. وقد امتد هذا التنوع والتعايش ليغطي الواقع الحزبي، الذي ضمّ طيفاً واسعاً من الأحزاب اليسارية، والناصرية، بالإضافة إلى الحركة الإسلامية.

ونظراً لكون القضية الفلسطينية في ذلك الوقت هي محور العمل السياسي، فإن صيدا مثل كل الجنوب كانت عرضة لاعتداءات إسرائيلية في أيّ لحظة، وبالتالي أحست الجماعة بوجوب أن يكون هناك قوة عسكرية تدافع عن المنطقة[53]. فدفعت الجماعة ببعض شبابها، ممن يملك القدرة على العمل العسكري، وكان يحصل بعض العمليات العسكرية ضدّ الصهاينة داخل فلسطين. وفي سنة 1976، أصبحت الجماعة في حالة جاهزية للقيام بالعمل العسكري، فشاركت في الدفاع عن مدينة صيدا عندما دخل الجيش السوري المدينة. واضطرت القوات السورية حينها إلى التراجع، وتمركزت فوق شرق صيدا، وحاصرت المدينة مدة أربعين يوماً؛ قصفت خلالها المدينة ومنعت عنها المؤن، وتعرضت للبواخر التي كانت تحاول الوصول من البحر؛ إلى أن حصل تفاهمٌ بين القوات السورية وبين القوى المتنفذة داخل مدينة صيدا، ولا سيّما الفلسطينية. كانت الجماعة في ذلك الوقت جزءاً وليداً، ولكنها استطاعت بفعل هذا الحدث جذب بعض الشباب المتحمس للدفاع عن صيدا أو حتى عن القضية الفلسطينية[54]. ولذلك اتخذ مكتب الجماعة في مدينة صيدا قراراً بتشكيل تنظيم المجاهدون كجناح عسكري في المدينة في سنة 1976، وطلبت قيادة الجماعة ترشيح منطقة معينة تكون نقطة للتجمع والانطلاق، فتم الاتفاق على استغلال معمل صابون مهجور عُرِف فيما بعد بمصبنة عودة أو متحف الصابون[55]. تمّ الإعلان عن انطلاقة التنظيم في صيدا من خلال مسيرتين راجلتين بلباس المجاهدون، الجناح العسكري للجماعة الإسلامية، وبالكوفية السوداء المميزة نفسها. اتجهت إحدى المسيرتين الراجلتين جنوباً والأخرى شرقاً فلفتت الأنظار بعرضها العسكري، ومن هذا المنطلق تمّ الاتصال بمركز الجماعة الإسلامية من قبل قائد القوات المشتركة بالمدينة طالباً التنسيق، وهو ما كانت تسعى إليه الجماعة دون أن يلقى آذاناً صاغية.

---

[53] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع صلاح الدين أرقه دان، صيدا، 2005/8/24.

[54] مقابلة أجرتها رنا سعادة مع علي الشيخ عمار، بيروت، 2014/9/9.

[55] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع صلاح الدين أرقه دان، صيدا، 2005/8/24.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

تلقى عناصر تنظيم المجاهدون في صيدا التدريبات العسكرية في معسكرات الجماعة في الضنية. وبالنسبة للسلاح، فلم يتعدَّ الأسلحة الفردية التي يقتنيها أعضاء الجماعة بتمويل ذاتي، أو من خلال التبرعات، إلى جانب بعض الأسلحة الصاروخية المتوسطة كالآر بي جي والقاذفات والقنابل اليدوية. انضم العديد من العناصر غير المنتمية إلى الجماعة الإسلامية إلى تنظيم المجاهدون، وكان عدد عناصر التنظيم عند انطلاقه بالمئات[56]. ووصل العدد إلى ما يقارب الثلاثة آلاف عنصر بعد امتداد التنظيم جنوباً، وخصوصاً في صور. وعندما اتخذت منظمة التحرير قراراً ألزمت بموجبه الشعب الفلسطيني بالتجنيد الإجباري؛ فضلت القوى الإسلامية في المخيمات ومعها كل المتدينين الانتماء إلى قوات الجماعة الإسلامية مما لا يحول بينهم وبين إعلان شعائرهم الدينية أو يسمعهم كلاماً مؤذياً بهذا الشأن[57].

حظي تنظيم المجاهدون بالهيكلية العسكرية نفسها التي تشكلت في المناطق الأخرى، وانحصرت مهمته في الحماية أو مشاركة الآخرين في حماية الثغور خصوصاً الساحل الذي كان مفتوحاً أمام أي اعتداء إسرائيلي[58].

وإلى جانب العمل العسكري للمجاهدون، قام أيضاً عمل أمني يتعلق بالرصد والمتابعة وجمع المعلومات، في حين بقي الشطر السياسي عند الجماعة بشكل مباشر، فلم يكن لتنظيم المجاهدون ناطق رسمي باسمه، بل كان الأمر مناطاً بالناطق باسم الجماعة الإسلامية[59]. ظلّ تنظيم المجاهدون قائماً في صيدا حتى الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982، حيث شهدت المدينة بعدها ولادة "قوات الفجر" (المقاومة الإسلامية).

[56] مقابلة هاتفية أجرتها أمل عيتاني مع محمد الشيخ عمار، صيدا، 2012/2/10.

[57] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع صلاح الدين أرقه دان، صيدا، 2011/2/16.

[58] المرجع نفسه.

[59] المرجع نفسه.

# ثالثاً: قوات الفجر:

## 1. مرحلة الدفاع عن صيدا المدينة:

كان الاجتياح الإسرائيلي لمدينة صيدا بمثابة الصدمة التي استفزّت الشباب الصيداوي بشكل عام وشباب الجماعة المجاهد بشكل خاص. وتحولت هذه الصدمة إلى درس تاريخي قاسٍ ومرير، وخصوصاً بعدما وقف هؤلاء الشباب في طوابير التفتيش الطويلة أمام عناصر الجيش الإسرائيلي وعملائه، من أجل اعتقال كل من حمل السلاح وقاتل دفاعاً عن أرضه وعرضه. يقول أحد قادة العمل الجهادي شارحاً هذا الموقف[60]:

> كنت واقفاً في مكان أراقب فيه تجمعات الناس الجاثية على الأرض والمحترقة بلهيب الشمس، ينتظر كل فرد منهم دوره ليمر على العملاء. وكان ممن عبر هذا الامتحان علماء وقضاة المدينة، الذين وقفوا مع غيرهم وقفة الذل الممزوجة بالقهر والإباء، وفي نفس الوقت كنت أسمع صوت القصف المنهمر على مخيم عين الحلوة حيث الأُباة من المجاهدين يقاتلون حتى آخر نفس، ثم التفت إلى تلة مار الياس حيث ثكنة الجيش اللبناني المدمرة من جراء القصف الإسرائيلي، أخذتني الحيرة، وعصرني الألم، وهاجمني القلق، واعترضني التساؤل: من يدافع عنا؟ من ينقذنا؟ من يخرجنا من مأزقنا؟ من يعيد إلينا كرامتنا؟ الجواب كان: الجميع منهزم والكل مندهش ومقهور، لم يبق من يقاتل من القوى الفلسطينية أحد في المدينة، ولم يستطع الجيش أن يتحمل مسؤولية الدفاع عن الوطن، ولم يكن وارداً أن تساندنا دولة عربية. أما نحن الشباب المسلح فكانت هذه التجربة أقسى مما كنا نتصور، وكان الامتحان أصعب مما نتوقع، وكانت النتائج كارثية بكل المقاييس. لقد كنا حفنة من الشباب أمام قوة طاغية من الأعداء، ولقد كنا قد تدربنا لبضع ساعات على استخدام السلاح لنواجه أقوى جيش من المحترفين الدائمين، ولقد قاتلنا بسلاح فردي بسيط لنوازي قدرة سلاح الجو الإسرائيلي المدمر والمميت. نعم لقد كانت الموازين مختلة بكل المقاييس وبنسب فلكية لا نستطيع أن ننصب لها ميزاناً أو نقيم لها ديواناً. منذ هذه اللحظة عرفت أننا نعيش قضية الجهاد بروحية الهواة وليس بعقلية المحاربين الأشداء. ومنذ هذه الساعة أدركت أن دراستنا الجامعية الواعدة لحياة أرغد ما هو إلا سراب

[60] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

يتنافس عليه طلاب الدنيا. ومنذ هذا اليوم أيقنت أن إعدادنا كان يتغذى من العواطف والخطب، ورغم هذا كله قررت في هذا التاريخ من عام 1982 أن يكون مستقبلنا هو في صون كرامتنا، وعزمت على بناء أجيال من المرابطين يقفون في وجه كل معتد مهما قوي أو كثر، وقررت أن أقاتل العدو الإسرائيلي وعملائه بشتى الطرق وبكل الوسائل لكي نهزمه وندحره، وأقسمت أن نتابع الطريق دون خوف أو تعب حتى يعز الله دينه أو نهلك دونه[61].

بهذه النفسية المتألمة وبهذه الروح القوية، بدأ مشروع العمل الجهادي في عاصمة المقاومة صيدا، إعداداً، وتدريباً، وتسليحاً، وتخطيطاً، وقتالاً، فدُحر الجيش الإسرائيلي وقهر في شوارع صيدا. ودُحر معه عملاؤه. ثم تقهقروا جميعاً من مناطق شرق صيدا.

بهذه المنهجية وضعت الخطط التنفيذية للدفاع عن المدينة لتكون مقبرة للأعداء، واستمرت هذه الحالة من الجاهزية حتى سنة 1991، حيث تمّ الاتفاق على تسليم أسلحة كل القوى الحزبية، ما عدا سلاح المقاومة[62].

في مطلع حزيران/ يونيو 1982، فاجأت القوات الإسرائيلية اللبنانيين والقوى الفلسطينية التي كانت تنتشر على كامل الساحة اللبنانية بغارات جوية بدأت في الرابع من حزيران/ يونيو، واستهدفت معظم المناطق اللبنانية، لا سيّما المخيمات الفلسطينية في الجنوب، والمواقع الفلسطينية في بيروت وما حولها، خصوصاً المدينة الرياضية ومبنى كلية الهندسة التابع لجامعة بيروت العربية، والذي كان يعدّ مخبئاً لقادة الفصائل الفلسطينية وعلى رأسها حركة فتح. بعد يومين من الغارات، شنت القوات الإسرائيلية هجوماً برياً على الجنوب استهدف المحاور كلها، وترافق مع قصف جوي مركّز، فتمكنت خلال أيام قليلة من الوصول إلى مخيمات صيدا، وطوّقت المدينة وتجاوزتها إلى تخوم مدينة بيروت في منطقة خلدة حيث توقفت هناك.

فوجئت الجماعة الإسلامية في صيدا بالهجوم الإسرائيلي كما فوجئت به كلّ فصائل المقاومة الفلسطينية، فبادر الإخوة هناك منذ اليوم الأول للهجوم إلى استجماع قدراتهم العسكرية تمهيداً لإطلاق المقاومة ضدّ الغزو الإسرائيلي، وكان المسؤول العسكري للجماعة في الجنوب الشهيد جمال حبال، في حين كان سليم حجازي مسؤول قسم الطلاب

[61] المرجع نفسه.

[62] المرجع نفسه.

في المدينة. وكان الشباب المقاوم يعقدون لقاءات في المساجد، بعيداً عن أعين العملاء، حتى يمهدوا السبيل لمواجهة الاحتلال[63]. اتُخذ قرار التصدي للإنزال الجوي البحري الذي وقع شمال مدينة صيدا، في منطقة الملعب البلدي – شرحبيل، في غرفة العمليات المشتركة بين القوى الفلسطينية المختلفة بقيادة فتح والقوى الإسلامية الأخرى والقوى اليسارية، وكانت الجماعة الإسلامية ممثلة بالأخ جمال حبال، حيث شاركت بفصيل من المجاهدين الأكفاء، كانت مهمته من ضمن المهمة الأكبر لسائر القوى، حيث تمحور هدف العملية على ما يلي:

أ. اعتبار الإنزال البحري الذي نفذ على الملعب البلدي إنزالاً خطيراً يهدف إلى عزل مدينة صيدا عن محيطها الخارجي وخصوصاً عن العاصمة.

ب. اعتبار أن الإنزال الجوي على تلة الشرحبيل جاء بمثابة السيطرة على أهم نقطة حاكمة في المدينة والتي ترمي إلى إسقاط المدينة بالنار تمهيداً للتحرك داخلها.

ج. تشكيل قوة مشتركة من جميع القوى الفلسطينية والصيداوية الإسلامية منها والوطنية للقيام بهجوم معاكس على تلة الشرحبيل وتحريرها من العدو قبل أن يتمركز أو يتحصن فيها. زاد عديد هذه القوة عن خمسمئة مقاتل[64].

كان عيب هذه الخطة واضحاً منذ البداية وهو خروج مئات المقاتلين من مخابئهم داخل المدينة وسلوكهم طريقاً تقليدياً معروفاً ومكشوفاً مما جعلهم هدفاً مثالياً لطائرات العدو المسيطرة كلياً على أجواء المدينة. وخلال ساعات قليلة تحولت بساتين صيدا المحيطة بتلة المعركة إلى بركان من اللهب ذاب فيه مئات الشهداء قبل أن يصلوا إلى أهدافهم ويلتحموا بقوات العدو[65].

كان هذا الخطأ واضحاً للقيادة العسكرية في الجماعة فقررت سلوك طريق أخرى غير متوقعة وغير مكشوفة ولكن ضمن ما هو ممكن ومتاح. فسلك فصيل الجماعة وهم من خيرة شبابها طريق صيدا – عبرا الجديدة – عبرا القديمة التي يفصلها عن تلة الشرحبيل وادي عبرا فقط. فكان التقدم بين المناطق السكنية آمناً، أما عبور الوادي فكان خطراً. وعند بداية العبور في المنطقة المكشوفة بدأ الطيران في التحليق والقصف،

[63] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع صلاح الدين أرقه دان، صيدا، 2005/8/24.

[64] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.

[65] المرجع نفسه.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

ومع إصرار الشباب بالتقدم فرداً فرداً لتقليل الخسائر، ومع الشعور بالخطر، جاء أمر الانسحاب من جمال حبال الذي أُعلم من غرفة العمليات بأن الهجوم الأساسي دمر تماماً. فانسحب الإخوة إلى مواقع داخل المدينة انتظاراً لملاقاة العدو وجهاً لوجه[66].

إن الانهيار السريع لمنظمة التحرير، وانسحاب مقاتليها من مدينة صيدا كشف المدينة تماماً، وحشر شباب الجماعة في زاوية ضيقة، ووضعهم أمام امتحان صعب، فقرروا المثابرة، ومتابعة القتال بما هو ممكن ومستطاع. فكانت لهم مناوشات في منطقة بوابة الفوقا، وساحة النجمة، ودوار إيليا، والبستان الكبير، وقد تمكن المجاهدون من إحراق دبابة سينتوريون Centurion tank عند دوار إيليا وقتل من فيها، واستطاع المجاهدون أن يكبدوا العدو بعض الخسائر في الآليات، والأرواح في المناطق الأخرى. إلا أن أصعب ما في هذه المواجهة هو أن قوة صغيرة جداً تواجه قوة دولة عسكرية كبيرة ومتطورة في معركة مفتوحة، وحيث تستنفر وتحشد هذه الدولة كافة إمكاناتها، لتحقق أهدافها بأسرع وقت ممكن وبتركيز حاد، وهذا ما جعل المواجهة غير متكافئة إلى حدّ كبير[67].

وقد سعى العدو إلى تدمير أي مبنى يرى فيه مسلحين أو مرتدين بزّات عسكرية. وقد دمّر الصهاينة المسجد العمري الكبير الذي تواجد فيه المجاهدون لمراقبة البوارج الصهيونية، بالإضافة لعشرات المباني، مما أدى إلى وقوع إصابات كثيرة معظمها في المدنيين[68]. ورأى الإخوة أن الاستمرار في قتال المواجهة المفتوحة هو نوع من الانتحار. فأُخذ القرار بالتحول إلى حرب العصابات، القائمة على فكرة استنزاف العدو. في هذه المواجهة ارتقى الشهيد سهيل السالم الذي سلك الطريق المكشوفة والخطرة مع سائر القوى المشتركة فكان في طليعة المجاهدين الذين وصلوا إلى مشارف التلة، في 1982/6/5[69].

بعد أن تمكن الاحتلال الإسرائيلي من دخول مدينة صيدا، وقبل أن تبدأ المقاومة بعملياتها، قام أحد الإخوة بالذهاب إلى مركز الجماعة وإتلاف كل الوثائق الموجودة حتى لا تقع في يد العدو. وفي الأيام الأولى للاحتلال، اجتمع مكتب صيدا الإداري واتخذ قراراً

---

[66] المرجع نفسه.

[67] المرجع نفسه.

[68] محمد الشيخ عمار، ملاحظات على مسودة النص التي تمّ استلامها في صيدا، 2015/12/24.

[69] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.

بجمع الأسلحة المنتشرة في البساتين وبعض الطرقات، والتي تخلص منها أفراد من التنظيمات اللبنانية والفلسطينية، بهدف تخزينها والاستفادة منها في عمليات المقاومة المتوقع أن تبدأها الجماعة قريباً، بعد تنظيم الأمر وتكوين الخلايا والمجموعات المناسبة للقيام بهذه المهمة، لمثل هذا النوع من حرب العصابات[70].

لم يكن عند سليم حجازي قدرة على الانتظار، ولم يتحمّل رؤية الاحتلال الصهيوني يجول في شوارع مدينة صيدا، وكان موقفه البطولي يصنع عنده حالة انفعال تدمي قلبه وتبكي عينه، فتولى تهيئة وتأمين مخازن سلاح وتدريب بعض الشباب وتشكيل المجموعات وتهيئتها للمباشرة بتنفيذ عمليات، وكان يركز حركته في أزقة وزواريب صيدا القديمة، حيث يبقى هناك هامش أكبر من الحرية. وكان سليم حجازي وبلال عزام قد رصدا بعض مخازن الأسلحة التي كانت لمنظمة التحرير أو غيرها من الفصائل الفلسطينية قد تركتها، فكان حجازي يحمل كيساً من الخيش ويدخل المخازن ويضع ما يستطيع ثم يخرج ويمشي في الشارع وهو في لباس عمله وكأنه يحمل كيساً فيه أشياء لها علاقة بالعمل، ويتجاوز الحاجز الإسرائيلي بكل هدوء وثبات ثم يسلمها لرفيق دربه في الجهاد بلال عزام ليقوما بإخفائها. وقد أسهم في عمليات نقل السلاح هذه محمود زهرة وعدد كبير من الشباب الصيداوي المقاوم. ومن الجدير ذكره في هذا المجال أن جمال حبال زار قيادات منظمة التحرير الفلسطينية، بصفته مسؤولاً عسكرياً للجماعة، من أجل التنسيق فيما يتعلق بالعمل المقاوم، لكن قيادات المنظمة ردت بأنها لا تستطيع أن تعطي أيّ وعود أو ضمانات، كما أن المنظمة رفضت تزويد عناصر المقاومة بأي نوع من الأسلحة حتى الخفيفة منها[71].

في ذلك الوقت بدأت عناصر الجهاز العسكري بالقيام بعمليات عسكرية بمسؤولية جمال حبال، وكانت هوية تلك العمليات غير مكشوفة، حيث كان الإخوة يحرصون على إخفاء هوية الذين يسقطون شهداء أو جرحى، ولا يتركون العدو الإسرائيلي يحدد هويتهم. ففي ظلّ الاحتلال الإسرائيلي لصيدا لم يكن هناك إمكانية لإقامة أي موقع، وكانت المجموعات المقاومة تعمل بشكل سري من خلال خلايا متخفية؛ تخبئ أسلحتها

[70] محمد الشيخ عمار، ملاحظات على مسودة النص التي تمّ استلامها في صيدا، 2015/12/24.

[71] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع صلاح الدين أرقه دان، صيدا، 2005/8/24.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

في المنازل، والحقول، والبساتين[72]. وبشكل عام كانت الأسلحة التي بحوزة المقاومين من النوع المتوسط والخفيف وصواريخ الكاتيوشا katyusha. نُفذت العملية الأولى للجماعة الإسلامية في صيدا في نهاية آب/أغسطس سنة 1982، حيث زرعت عبوات ناسفة في بعض شوارع صيدا، وعند بولفار معروف سعد قرب مستشفى إيليا، تمّ تفجير عبوة ناسفة كبيرة خلال مرور دوريات إسرائيلية، فأسقطت عدداً من القتلى. بعد أول عبوة زرعت في صيدا تغيرت الأمور كثيراً، فتوقف الإسرائيليون عن تسيير الدوريات في الشوارع، ليتولى المهمة مكانهم جيش لبنان الجنوبي العميل، الذي كان وقتها بقيادة سعد حداد[73].

لقد غيّر العمل المقاوم الوضع وزرع الرعب في قلوب الإسرائيليين، ففي البداية كان الإسرائيليون في الساحة المقابلة لمسجد الزعتري عند مدخل صيدا من جهة البحر يغتسلون عراة، وقد كان يدخل بعضهم إلى بعض البيوت ويشربون القهوة والشاي، كما قام بنك لئومي Bank Leumi الإسرائيلي بفتح فرع متنقل، وأخذ بعض الناس ينظمون رحلات سياحية وتجارية ويأتون بالبضائع من "إسرائيل" سواء بالإكراه أم بالضغط أم بكامل إرادتهم؛ إلا أنهم أحجموا عما كانوا يقومون به، وفرض المقاومون أنفسهم بحكم بطولاتهم. ويذكر في هذا الصدد أنه بعد أن توقفت القوات الإسرائيلية عن تسيير الدوريات، أخذ المقاومون ينفذون عمليات ضدها عبر إطلاق صواريخ كاتيوشا عليها من فوق أسطح المباني[74]. كل هذا دفع قيادات سياسية ودينية كبيرة في صيدا مثل الدكتور نزيه البزري الذي شكا له شخص بأن ابنه اعتقل ليقول: "ابنك بطل وقد واجه العدو ولو كنت في سنه لكنت فعلت مثله"[75]. غير أن مفتي صيدا محمد سليم جلال الدين كان الأجرأ في تبني العمل المقاوم، فكان يقول: "هؤلاء الشهداء أبنائي وأنا أتحمل مسؤولية مقاومتهم"؛ وقد كان ينقل جثامينهم جميعاً بحمايته ويصلي عليهم في مسجد الزعتري متحدياً الاحتلال الإسرائيلي[76].

---

[72] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع مصعب حيدر، صيدا، 2005/8/24.

[73] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع صلاح الدين أرقه دان، صيدا، 2005/8/24.

[74] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع مصعب حيدر، 2005/8/24.

[75] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع صلاح الدين أرقه دان، صيدا، 2005/8/24.

[76] المرجع نفسه.

في 1982/9/15، استشهد سليم حجازي وبلال عزام؛ فبعد مقتل بشير الجميل في اليوم الذي سبق، كان حجازي في صيدا القديمة معه مجموعة من الشباب، فقامت القوات اللبنانية وقتها بردة فعل وحشية، حيث نزلوا إلى الشوارع وأمعنوا قتلاً وذبحاً مركزين بشكل أساسي على كل من هو فلسطيني، دخلت مجموعة منهم إلى صيدا القديمة بحثاً عن أي فلسطيني لقتله أو اعتقاله، فوصل حجازي خبر بأن اثنين من مسلحي القوات اللبنانية دخلوا البلد فلحق هو وبلال عزام بهما وتعقبهما وكان بحوزته مسدس صغير لم يشهره حتى، وحاول مع عزام أن يطبقا عليهما، غير أن العنصرين كانا مسلحين وكان أحدهما يحمل بندقية كلاشنكوف والآخر مسدساً، فسارعا إلى إطلاق النار على حجازي وعزام[77]، فاستشهدا على الفور، وشيّعهما الإخوة والأهل بعدد متواضع بمشاركة المسؤول التنظيمي في الجنوب نظراً لظروف المدينة. كانت الأعين دامعة من ألم الفراق، والقلوب والعقول مصممة على متابعة طريق الجهاد والمقاومة للعدو الصهيوني، يحدوهم قول سليم رحمه الله: "سأكون جسراً يعبر عليه إخواني". كما خطف عملاء الصهاينة بعد أيام قليلة نبيل الشرقاوي واقتادوه من منزله في منطقة القياعة إلى القرب من مبنى ميكانيك السيارات، وقتلوه بعد التعذيب بالفؤوس. وقد توجهت الجماعة في ذلك الوقت، بلسان رئيس مكتبها الإداري في صيدا والجنوب في خطبة الجمعة، بدعوة الناس إلى التصدي للاحتلال الذي هو رأس الأفعى، فإذا قضي على الرأس مات الذَّنَب، وهم العملاء[78].

بعد فترة قصيرة من بدء الاجتياح الإسرائيلي، اضطر قادة العمل العسكري في الجماعة للانتقال إلى بيروت، وعقدوا أكثر من لقاء مع إبراهيم المصري، ولكن لقاء قيادات الجماعة لاتخاذ قرار بإطلاق المقاومة كان متعذراً بسبب الأجواء المشحونة، وتعذر على كثيرين الوصول إلى بيروت حيث الطرقات من بيروت إلى خارجها مقطوعة. ولم يتسنَّ لقيادة الجماعة على مستوى الساحة اللبنانية ومجلس الشورى أن تعقد لقاءها الأول إلا في 1982/8/2 حيث عقدت اجتماعها في بلدة عاصون في الضنية شمال لبنان[79]. كانت القيادة مجمعة على وجوب مقاومة الاحتلال الصهيوني، والبدء بالتنفيذ بحسب الإمكانات المتوفرة، والظروف المتاحة، وصولاً إلى تنميتها وتفعيلها، ولكن كانت

[77] مقابلة أجراها عبد القادر العلي مع مصعب حيدر، 2005/8/24.

[78] محمد الشيخ عمار، ملاحظات على مسودة النص التي تمّ استلامها في صيدا، 2015/12/24.

[79] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع إبراهيم المصري، بيروت، 2011/7/17.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

تتنازعها وجهتا نظر بخصوص إطلاق العمل المقاوم؛ الأولى تقول إنه لا يمكن للجماعة أن تخوض المعركة دون إعداد، وكانت تريد عملاً نظامياً مثل عمل الجيوش[80]، والأخرى تقول إن المقاومة باتت واجباً شرعياً وسياسياً، وإن الشباب المتحمس للعمل المقاوم، إنما فعل ذلك بدافع عقيدته، واستشعاراً بالواجب تجاه منطقته[81]. يومها قررت قيادة الجماعة تشكيل لجنة لوضع الخطة المناسبة والإشراف على التنفيذ مؤلفة من عبد الفتاح زيادة رئيساً للجنة، بحكم سابق خبرته العسكرية، والمسؤول العسكري في صيدا والجنوب جمال الحبال عضواً ورئيساً للجنة التنفيذية للعمل المقاوم، ورئيس المكتب الإداري في صيدا والجنوب محمد الشيخ عمار[82]، غير أن تلك اللجنة لم تستطع أن تقدم حلولاً سريعة، لأنها كانت تحتاج إلى دراسة حول القدرات العسكرية والأسلحة التي تمتلكها الجماعة.

بعد فترة قصيرة من الاحتلال الإسرائيلي للجنوب ومدينة صيدا ووصوله إلى محاصرة بيروت، تردد بعض الإخوة من أعضاء مكتب صيدا؛ رئيس المكتب الإداري والمسؤول العسكري ومسؤول الطلاب على طرابلس، سالكين طريق الشوف الجبلية للتواصل مع الأمين العام للجماعة فتحي يكن، لاتخاذ القرار المناسب بشأن تنظيم العمل الجهادي في مواجهة الاحتلال الصهيوني. وقد كان بعض أعضاء الجماعة والمقربين منها من الشباب قد قاموا ببعض العمليات الفردية. وقد أخذ موضوع تنظيم العمل الجهادي والبدء بالتنفيذ جدلاً ونقاشاً غايته الوصول إلى الأسلوب الأنجح في مقاومة الاحتلال، وتخفيف ارتداداته ما أمكن على صفّ الجماعة المعروف في المدينة؛ حيث تمّ البدء بتكوين مجموعات، وخلايا محدودة، ذات فاعلية وضمان سرية العمل[83].

وخلال هذه الفترة، اضطر عدد من الإخوة المكشوفين إلى مغادرة مؤقتة لمدينة صيدا مع أُسرهم إلى بيروت وطرابلس، تجنباً للملاحقات والاعتقالات التي كانت على أشدها في ذلك الحين، سواء بتجميع الاحتلال للناس في عدد من مناطق المدينة وأحيائها واعتماده على العملاء المقنعين، أم بالملاحقات الخاصة لمن خاضوا الحرب مع الاحتلال[84].

---

[80] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع صلاح الدين أرقه دان، صيدا، 2011/2/20.

[81] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع إبراهيم المصري، بيروت، 2011/7/17.

[82] محمد الشيخ عمار، ملاحظات على مسودة النص التي تمّ استلامها في صيدا، 2015/12/24.

[83] المرجع نفسه.

[84] المرجع نفسه.

وبعد انتهاء الحصار عن مدينة بيروت تردد بعض الإخوة العاملين في المجال العسكري والسياسي على نائب الأمين العام للجماعة حينها إبراهيم المصري، وعقدوا معه عدة لقاءات بشأن العمل المقاوم[85].

عقدت القيادة أول اجتماع لها في بيروت بعد انسحاب الاحتلال الصهيوني منها، ووضعت الصيغة المناسبة لسرية العمل المقاوم في الجماعة، بما يمكن أن يضمن للإخوة المعروفين في مدينة صيدا والجنوب تواجدهم دون تحميلهم أيّ مسؤولية عن العمل المقاوم وعملياته العسكرية، بخلاف ما إذا كان العمل المقاوم معلناً باسم الجماعة[86].

كلفت القيادة رئيس المكتب الإداري بدعوة المسؤول العسكري جمال الحبال للقائها في بيروت، فتم اللقاء وكلف الأخ جمال بمتابعة عمله ومسؤولية اللجنة العسكرية التنفيذية، وتبني الجماعة الكامل لهذا العمل بالسرية المذكورة آنفاً، وطلب منه تسمية نائب له ففعل، وكلف نائب الأمين العام بالإشراف والمرجعية أو المسؤولية المباشرة نيابة عن القيادة. وكان يقوم بهذا الأمر من قبل، ويتابع مع الشباب العمل الميداني من خلال لجنة من الإخوة المبادرين بالتشاور مع الأمين العام للجماعة، ويمدهم بحاجاتهم[87].

انطلاقاً من ذلك، لم ينتظر الإخوة في صيدا قرار اللجنة لأنهم كانوا يرون أنه يجب أن يباشروا بحكم الضرورة والواجب الشرعي، ولأن الوضع في صيدا لا يحتمل التأخير؛ وبالتالي كان قرار الشروع في العمل المقاوم قراراً ميدانياً اتخذته عناصر منتمية إلى القيادة العسكرية للجماعة، وعلى تواصل ومعرفة بما يحصل على الأرض، وقبل أن تتبنى قيادة الجماعة رسمياً العمل المقاوم بعد ذلك التاريخ بفترة قصيرة. انطلاقاً من ذلك، باشر الإخوان أداءهم العسكري وكانوا ينسقون مع إبراهيم المصري الذي كان عضواً في القيادة المركزية، وكان يوفر لهم الدعم المادي واللوجيستي، وذلك من خلال التحرك خارج لبنان، ويروي إبراهيم المصري أن الجماعة قبل الاجتياح الإسرائيلي كانت تطلب من الناس أن يدعموا أوجه أنشطتها المختلفة، لكن خلال الاجتياح الإسرائيلي كان الناس

[85] المرجع نفسه.

[86] المرجع نفسه.

[87] المرجع نفسه.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

هم الذين يرجون الجماعة أن تتقبل مساعداتهم المادية إلى الداخل اللبناني؛ فكان المصري يتحرك إلى الخليج، وخصوصاً الكويت، ثم يتوجه عبر قبرص ويعود إلى لبنان بحراً عبر أي منطقة متاحة على الساحل اللبناني[88].

استمر العمل دون قرار مركزي رسمي لفترة قصيرة لم تتعدّ الشهر ونصف الشهر، حينها استطاع الأمين العام فتحي يكن أن يأتي إلى بيروت، واجتمع شمل القيادة، فعقدت جلسة كلَّف خلالها إبراهيم المصري رسمياً بالإشراف على موضوع المقاومة في الجنوب، والتنسيق مع الإخوة العاملين في هذا الميدان. عقدت لقاءات أخرى في بيروت لتنظيم العمل، وكان من أهم من تولوا مسؤولية الإشراف على العمل العسكري في ذلك الوقت، جمال حبال؛ مسؤولاً عسكرياً، وصلاح الدين أرقه دان؛ الذي تولى مهمة الارتباط، والاتصال، والتنسيق مع المجموعات الشيعية المقاومة، في وقت لم يكن فيه حزب الله قد تأسس بعد، بالإضافة إلى مصعب حيدر الذي اختير مسؤولاً سياسياً وإعلامياً للعمل العسكري الذي انطلق تحت اسم "قوات الفجر"، وقد التقى هؤلاء واختاروا إبراهيم المصري مسؤولاً عن اللجنة المركزية للعمل المقاوم دون أن يعلموا أنه قد كلّف قبل ذلك من قبل قيادة الجماعة بتلك المسؤولية. بعد ذلك بشهر اعتقل جمال حبال، ومحمود زهرة، وحبيب حيدر (شقيق مصعب حيدر)، في شقة، عبر متابعة الجيش اللبناني لموجات الأجهزة اللا سلكية حيث ضبطت معهم أسلحة، وكان الجيش اللبناني حينها يعاني من هيمنة جهات معادية لخط المقاومة. واستمر اعتقالهم لمدة شهر، بذلت الجماعة جهوداً كبيرة عبر المحامين من بيروت الشرقية، حيث عملوا على إطلاق سراح المعتقلين الثلاثة مقابل مبلغ مالي كبير[89].

استمر العمل تحت اسم "قوات الفجر (المقاومة الإسلامية)" دون إظهار من يقف وراءها بشكل إعلامي، في الوقت الذي كان فيه الناس في صيدا يعرفون مَن وراء قوات الفجر، وذلك حتى آخر كانون الأول/ ديسمبر سنة 1983؛ تاريخ استشهاد جمال حبّال، الذي أصر على العودة إلى صيدا؛ فبعد تنفيذه لإحدى العمليات، رصده عملاء "إسرائيل"، حيث بات ليلته هو ومحمود زهرة في منزل الشهيد محمد علي الشريف في منطقة القياعة، وكان شريكاً لهما في العمل المقاوم، فطوّق الإسرائيليون

[88] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع إبراهيم المصري، بيروت، 2011/1/17.

[89] المرجع نفسه.

المنطقة وضيّقوا الحصار عليها، فبادر جمال ورفاقه بإطلاق النار على القوات الإسرائيلية، ودارت معركة طاحنة استمرت طوال الليل، تمكن المجاهدون خلالها من تكبيد الإسرائيليين خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وقتل فيها ضابط صهيوني برتبة عالية من لواء جولاني Golani Brigade، وعدد من الجنود الصهاينة، إضافة إلى الجرحى. واستشهد المجاهدون الثلاثة فجر 1983/12/27، وقد تمّ تداول أخبار عن اضطرار وزير الدفاع الصهيوني أريل شارون إلى زيارة موقع المعركة بعد الخسارة الكبيرة التي تلقاها جيشه، وأنه أمر بتفجير المنزل[90]. ومع استشهاد جمال حبال ورفاقه انكشف من يقف وراء قوات الفجر، وجرى اعتقال عدد كبير من أعضاء، وقيادات الجماعة الإسلامية على رأسهم محرم العارفي، الذي كان له دور كبير من خلال المسجد في حشد الطاقات، وتشجيع الشباب على الانخراط في العمل المقاوم، ومحمد القبلاوي (أبو سلمان)، ومصطفى الحجازي (أبو عثمان)، وغيرهم الكثير من أبناء الجماعة والمقربين منها[91]. وأصدرت الجماعة الإسلامية عدة بيانات تستنكر فيها حملة الاعتقالات، والاعتداءات الإسرائيلية[92].

بعد التطورات الخطيرة التي حصلت وانكشاف هوية المقاومة التي كانت تقود الساحة، وسقوط عدد من الشهداء على رأسهم جمال الحبال، واعتقال عدد كبير من أعضاء الجماعة الذين كانوا يردفون العمل داخل مدينة صيدا وجوارها، فرض هذا الواقع على الجماعة بنداً مهماً من بنود حرب العصابات المتمثل بوجود البيئة الحاضنة لرجال المقاومة. فكانت مدينة بيروت تمثل الحاضنة السياسية والاجتماعية لقيادات وعناصر العمل المقاوم، أما مدينة طرابلس وجرود الضنية فكانت المنطقة العسكرية التي دربت وخرّجت معظم عناصر وقيادات العمل المقاوم في الجماعة خلال الفترة 1982–1985، على الرغم من الوجود العسكري السوري في محيط المدينة، وعلى تخوم المناطق الوعرة في جرود الضنية[93].

---

[90] المرجع نفسه؛ ومحمد الشيخ عمار، ملاحظات على مسودة النص التي تمّ استلامها في صيدا، 2015/12/24.

[91] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.

[92] أرشيف الجماعة الإسلامية، الجماعة الإسلامية، اللجنة السياسية، "تاريخ ومواقف: الأعوام 1975–1988" (نسخة محفوظة لدى مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)، 466 صفحة.

[93] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.

كان تَوجُّه القيادة العسكرية في ذلك الحين يتمثل بما يلي:

أ. استقبال الإخوة من سائر المناطق اللبنانية للتدريب في منطقة الضنية.
ب. إغناء العمل الجهادي المقاوم بشريحة واسعة من أعضاء الجماعة والقادة والمدربين.
ج. إدخال تكتيكات جديدة على برامج التدريب، تتناسب مع طبيعة القتال والمواجهة وخصوصاً مع العدو الإسرائيلي المتفوق عددياً وتقنياً[94].

توافد إلى معسكر الضنية العشرات من أعضاء الجماعة في كل دورة تدريبية واحدة، كما كان في فصل العمل المنتج "فترة الصيف" عدة دورات، حتى بلغ عدد المتخرجين في الفصل الواحد المئات، من الذين انخرطوا في العمل المقاوم جنوباً، أو الذين توجهوا إلى سائر المناطق لينقلوا التجربة ويؤسسوا لعمل جهادي متطور[95].

واستمر العمل الجهادي المقاوم ضدّ العدو الإسرائيلي بشكل متوازن بين الإنماء والتطور من جهة، وبين تكاليف وأثمان الجهاد والاستشهاد من جهة ثانية حتى 1985/2/18، تاريخ انسحاب الجيش الإسرائيلي من مدينة صيدا وضواحيها، تحت وطأة وضربات المقاومة وفي طليعتها قوات الفجر، وسقط في هذه المرحلة كلّ من:

- الشهيد فوزي آغا 1982/8/3؛ استشهد إثر اقتحام القوات الإسرائيلية منزله في منطقة الفيلات.
- الشهيد نزيه القبرصلي 1984/1/19؛ استشهد في عمليات المقاومة ضدّ العدو الإسرائيلي قرب ميناء صيدا.
- الشهيد بشير الأتب 1984/3/27؛ استشهد في عمليات المقاومة ضدّ العدو الإسرائيلي في منطقة سينيق.
- الشهيد أحمد الديماسي 1984/11/29؛ استشهد في عمليات صيدا ضدّ العدو الإسرائيلي في حي البراد[96].

إلا أن العدو الإسرائيلي استطاع أن يزرع قوى عميلة مؤهلة، ومدربة، ومدعومة، في المنطقة الممتدة من صيدا وحتى كفرفالوس، وكان على رأس هذه القوى العميلة ما يسمى

---

[94] المرجع نفسه.

[95] المرجع نفسه.

[96] المرجع نفسه.

بجيش لحد، حيث بدأ فصل جديد من المواجهة مع تغيير جذري في أساليب القتال، وانتقل العمل من حرب العصابات إلى عمليات الدفاع عن الأرض، ومن ثم تحريرها[97].

كانت سنة 1985 مفصلية في تاريخ العمل العسكري المقاوم، للجماعة الإسلامية بشكل عام وفي صيدا وضواحيها بشكل خاص. ففي مطلع هذه السنة انسحبت "إسرائيل" من مدينة صيدا ومحيطها ومن قسم من منطقة الجنوب. وفي 1985/3/18، اندلعت حرب المواجهة بين المجاهدين وبين عملاء "إسرائيل" دفاعاً عن المدينة المقاومة. وفي 1985/4/29، تمّ تحرير مدينة صيدا من تخومها البحرية غرباً حتى منطقة كفرفالوس شرقاً، وفي صيف هذه السنة كان للجماعة مواقع ومعسكرات بمثابة المدرسة الحقيقية للعمل الجهادي، التي اكتسب فيها أعضاء الجماعة الخبرة والتجربة بعد تدريب مستمر ودؤوب[98].

مع انسحاب الجيش الإسرائيلي من مدينة صيدا، عاد معظم المجاهدين من المناطق الخلفية الداعمة كمدينتي بيروت وطرابلس. وفي هذه الأثناء كان عملاء الاحتلال يعيثون فساداً في الأرض، يخطفون من أبناء المدينة حيناً ويقتلون بعضهم حيناً آخر، وينشرون الخوف والرعب في قلوب المواطنين، وارتكز تواجد هؤلاء العملاء في منطقة القياعة المدعومة من منطقتي عبرا ومجدليون[99].

أمام هذا الواقع والتحدي ارتأت الجماعة أن تضع حداً لهذه العربدة فنشرت مجموعات مراقبة وحماية في النقاط الساخنة التي يتواجد فيها العملاء بهدف حماية المنطقة وأهاليها الذين رزحوا لسنوات ثلاث تحت نير الاحتلال. وقد أدى الاحتكاك المباشر إلى تفجير معركة عنيفة وطويلة سميت بـ"معارك شرق صيدا"[100].

بدأت هذه المعركة في 1985/3/18، إثر حادثة اعتداء وخطف لأحد المواطنين المدنيين في منطقة القياعة، فكُلفت إحدى الفصائل المجاهدة باستبيان الوضع وحماية المواطن، فتبين أن مجموعات للعملاء قد حشدت قواتها في المنطقة، وكان هدفها افتعال مشكلة أمنية، وفرض سيطرتها على القطاع الغربي لمنطقة القياعة وصولاً إلى خط السكة الحديدية، حتى يكون هذا هو خط التماس الفاصل ما بين منطقة العملاء، التي تمترست بالمناطق

[97] المرجع نفسه.

[98] المرجع نفسه.

[99] المرجع نفسه.

[100] المرجع نفسه.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

المسيحية وبين قلب مدينة صيدا ذات الأغلبية المسلمة، وهذا هو المخطط الإسرائيلي الذي عمل عليه هو وعملاؤه من بعده. إزاء هذا الوضع الخطير كان من الخطأ والخطر أن ينتظر الفصيل المكلف الدعم من داخل المدينة، لأن الوقت يكون قد فات، فقرر أخذ المبادرة والاشتباك لتفويت الفرصة على الخصم[101].

تمّ تقسيم الفصيل إلى ثلاث مجموعات قتالية: مجموعة المساندة، ومجموعة الاقتحام، ومجموعة المناورة. تمّ احتلال مبانٍ ومواقع في بستان الشيخ في القياعة، بعدما فرّ منها بعض عناصر العملاء، واتخذت عناصر المساندة للمجاهدين مواقع لها في تلك النقاط، فأصبحت وجهاً لوجه مع عناصر العملاء يفصل بينهما طريق القياعة التحتا أي الطريق الرئيسي. ثم قامت مجموعة الاقتحام باختراق منطقة العملاء في وسط القياعة بعدما احتلت مركزاً لهم، وبعد تأمين الحماية المتقدمة من إحدى المباني القديمة المطلة على القياعة الوسطى، قامت مجموعة المناورة بالالتفاف عبر المنطقة المزروعة للوصول إلى القياعة الوسطى. وكل ذلك كان يحصل تحت ضغط المعركة وصوت إطلاق النار الغزير الصادر من الأسلحة الرشاشة الفردية أو المتوسطة التابعة للمجموعة. كانت المعركة تسير وفق الخطة المتبعة ووفق ما تدرب عليه المجاهدون، ولكن مشكلتين مستجدتين أثرتا على سير المعركة: الأولى، محاولة التحاق المجاهد نبيل سعد الدين بالمهاجمين بعد بدء المعركة، وكان من خارج المنطقة ومن خارج ملاك الفصيل المهاجم، إلا أن الأصوات الصاخبة المنبثقة عن المجاهدين ومن أجهزة الاتصال داخل المعركة دفعته للالتحاق بهم، وكان وصوله إلى أرض العمليات أمراً يكاد يكون مستحيلاً فارتقى شهيداً[102].

أما المشكلة الثانية، فقد ظهرت مع إصابة مسؤول مجموعة المساندة إصابة بليغة في وسط الشارع وفي أثناء عبوره له، فاضطر بعض عناصر الفصيل إلى أخذ إجراءات حماية نارية وتأمين إخلائه تحت وابل غزير من النار المنصبة على الجريح، ولم ينجحوا في الوصول إليه وسحبه إلا بعد عدة محاولات صعبة أدت إلى إصابة مجاهد آخر في ساقه، وهو عبد الحليم صفدية، الذي استشهد في معارك منطقة المية ومية فيما بعد. وبعد يوم طويل من المواجهات، استطاع المجاهدون تثبيت خطّ دفاع متقدم في منطقة القياعة، الذي استمر لأكثر من شهر تخلله كر وفر ومعارك ضارية أدت إلى زعزعة قدرات الخصم

[101] المرجع نفسه.

[102] المرجع نفسه.

واستنزافه حتى التقهقر. كما سقط من صفوف المجاهدين في الجماعة من خلال هذه الحادثة عدد من الشهداء، منهم مصطفى رجب من طرابلس[103].

إن انفجار الوضع في منطقة القياعة أدى إلى انفجاره أيضاً في كل المناطق التي زرع العدو فيها عملاءه، فاندلعت شرارة القتال في تلة سيروب، وتلة المية ومية، ومنطقة البرامية بالإضافة إلى القياعة التي بدأت منها بذور الصراع، فبلغ طول خط المواجهة سبعة كيلومترات، أي الطول الحقيقي لمدينة صيدا العقارية[104].

ففي سيروب هبت مجموعة من شباب الجماعة مع بعض شباب المنطقة للدفاع عن محيطهم، على الرغم من عدم التكافؤ في العدد والسلاح، إلا أن ثبات مجاهدي الجماعة في مواقعهم حتى النهاية، أدى إلى الحفاظ على تلة سيروب الحاكمة والمطلة على مخيم عين الحلوة ومدينة صيدا وطريقها العام المتجه نحو الجنوب، وبالتالي تأمين خلفية الجبهة من الاختراق منذ بداية المعركة وحتى التحرير. في هذه المعركة، أصيب أحد كوادر الجماعة إصابة بليغة لم تثنه فيما بعد عن الانخراط من جديد في صفوف القادة الذين أخذوا على عاتقهم تطوير العمل وتأهيل المجاهدين[105].

أما المرابطة والقتال على محور المية ومية فكان هو الأشد والأصعب نظراً لارتفاع التلة التي كان العملاء يتحصنون بها، وكانت المنطقة التي انطلق منها الشباب للدفاع عنها هي منطقة الفيلات المدعومة بالمجاهدين من حي التعمير. كان ثمن الصمود غالياً في تلك المنطقة، إذ لم يكن من الممكن الثبات والدفاع إلا بعد حفر الخنادق، ولم يكن من الممكن التحرك إلا تحت إسناد ناري، والتعرض للخسائر، إلا أن هذه الامتحانات الصعبة ذللها المجاهدون في تلك المنطقة، وصمدوا وقاتلوا، وحرروها في النهاية، ولكن بثمن مرتفع، فقد سقط على هذا المحور توفيق جوهر، ومحمود قطيش، وعبد الحليم صفدية، وصلاح الرواس، وفؤاد السهلي[106].

إزاء هذا الواقع الأليم وثقل الأمانة، وقلة المجاهدين، وضعف إمكانياتهم، وطول أمد المعركة، قررت القيادة أن تعزز عمل الساقة، أي المنطقة الخلفية الحاضنة، فقامت

---

[103] المرجع نفسه.

[104] المرجع نفسه.

[105] المرجع نفسه.

[106] المرجع نفسه.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

باستدعاء عناصر التعبئة لتدريبها، وتسليحها للمشاركة، والمرابطة على محاور القتال. وكُلِّف عدد من المدربين الشباب الذين تخرجوا من معسكرات الضنية، والذين شاركوا في قتال خطوط التماس في بيروت، والذين عايشوا وشاركوا في قتال عناصر الجيش الإسرائيلي. هذه المجموعة قامت بتدريب المئات من العناصر المجاهدة الذين توزعوا على جبهات القتال، فأغنوا العمل الجهادي وطوروا قدرات الجماعة، حتى أضحت القوة الأولى التي تستطيع الانتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم، واستمرت فترة الدفاع المتوازن قرابة 36 يوماً قبل الانتقال إلى مرحلة التحرير[107].

## 2. مرحلة تحرير صيدا:

هناك أسباب كثيرة أدت إلى تقهقر المشروع الإسرائيلي في المنطقة عموماً وصيدا ومحيطها الشرقي خصوصاً، أهمها:

أ. ضربات المقاومة المؤلمة ضدّ جيش الاحتلال الإسرائيلي.
ب. تماسك الجبهة الداخلية المقاومة وتوحدها في مواجهة المشروع العميل.
ج. نمو قدرات الجماعة الإسلامية التي أصبحت مناطقها عصيَّة على الاختراق.
د. تآكل جبهة العملاء وتفككهم وخصوصاً بعد فترة طويلة من الاستنزاف[108].

أمام هذه المعطيات قامت "إسرائيل" بالانسحاب من مجدليون إلى كفرفالوس، تاركين وراءهم جيشاً من العملاء للدفاع عن هذه المنطقة. عندئذٍ تداعت جميع القوى الإسلامية والوطنية للاستفادة من هذه الفرصة، وتحرير شرقي صيدا من هؤلاء العملاء[109].

كانت الجماعة هي القوة الأهم والأقوى، حيث قامت بتكليف ثلاث سرايا متكاملة للقيام بهذه المهمة التي ارتكزت على ما يلي:

أ. التقدم على الشريط الجبلي لشرق صيدا من ثلاثة محاور؛ الخطّ الرئيسي أي الطريق العام، والخطّ الشمالي على محور حافة المنطقة السكنية الممتدة من عبرا القديمة وحتى الصالحية، والخط الجنوبي لتلال مجدليون المشرفة والمساندة للخط الرئيسي.

---

[107] المرجع نفسه.
[108] المرجع نفسه.
[109] المرجع نفسه.

ب. عدم استخدام الآليات أو السيارات، والاعتماد على القوة الراجلة، بعكس كل القوى الأخرى التي اعتمدت على التحرك بالمحمولات المختلفة، وهذا الإجراء تعلمته قيادة الجماعة الإسلامية العسكرية من خلال معطيات ومتطلبات تكتيكية أثبتت صحتها.

ج. التنسيق بين السرايا الثلاثة من خلال جهاز الراديو (اللا سلكي) لطلب الدعم والمساندة.

د. تقسيم المحور إلى محطات متعددة تنسق فيها قيادة السرايا الثلاثة مع قائد الكتيبة ميدانياً قبل الانتقال إلى المرحلة التالية[110].

انتهت مرحلة تحرير صيدا وشرقها وصولاً إلى بلدة كفرفالوس حيث عسكر هناك الجيش الإسرائيلي، يعاونه في ذلك جيش العميل أنطوان لحد وطائفة من العملاء الذين فروا من مدينة صيدا ومحيطها. وقد استشهد في المحطة الأولى من الهجوم الذي تحدثنا عنه محمد مصطفى خليل، الذي جاء من مدينة بيروت[111].

في هذه الفترة ارتفع الرصيد الجماهيري للجماعة الإسلامية في المدينة. وكان من أجمل ما كتب أهل صيدا على الجداريات واليافطات بعد النصر والتحرير عبارة: "صيدا تنادي... الجماعة تجيب: نصر من الله وفتح قريب"[112].

وارتسمت صورة تاريخية جديدة لمدينة صيدا مع بداية سنة 1985، مفادها:

أ. في 1985/3/18، دخلت الجماعة في معركة للدفاع عن المدينة بعديد لا يزيد عن 75 مجاهداً.

ب. طورت الجماعة قدراتها الدفاعية كماً ونوعاً حتى وصل عديدها إلى 200 مجاهد بعد أسبوع من المعارك وتمددت على كل المحاور بمعدل 50 مجاهداً في كل جبهة.

ج. تنامت إمكانيات الجماعة الجماهيرية والعسكرية، وفتحت المعسكرات الداخلية حتى وصل عديد المتخرجين المستجدين فيها إلى 620 مجاهداً بعد شهر من القتال.

د. الانتقال إلى مرحلة الهجوم والتحرير، فتقدم على محور شرق صيدا قرابة 300 مجاهد، وصلوا إلى مجدليون، ثم إلى الصالحية، ثم إلى لبعا، ثم إلى كفرفالوس.

---

[110] المرجع نفسه.

[111] المرجع نفسه.

[112] المرجع نفسه.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

هـ. انتقلت معسكرات الجماعة من الداخل الصيداوي الضيق إلى المناطق الجبلية المحررة.

و. عبرت الجماعة من مرحلة البناء والتكوين إلى مرحلة التخصص والتطوير، فكانت مدرسة معروفة بالانضباط، والأخلاق، والمهنية، والتجرد، وكان المجاهدون من شباب الجماعة يقدمون أنفسهم، وأعمالهم لله عزّ وجلّ؛ بغض النظر عما تقوم به الفئات الأخرى[113].

يقول أحد القادة بعد انتهاء المعارك وتحرير شرق صيدا:

> سرق المجاهدون بعض الوقت لأخذ قسط من الراحة، وبعد الاطلاع على أوضاعهم، وجد أن منهم من لم ينم على فراش منذ أكثر من أسبوع، وأن منهم من لم يستحم منذ أكثر من عشرة أيام، وأن منهم من داوم على أكل المعلبات طوال مرحلة المرابطة (36 يوماً)...، فكانت الاستراحة بمثابة ولادة جديدة لكل مجاهد مرّ بتلك الأيام الصعبة، ولكنها كانت حقاً "استراحة محارب"[114].

## 3. مرحلة المعسكرات والقتال في الأراضي المفتوحة:

مع انتهاء مرحلة وبداية مرحلة جديدة، رُسمت مجموعة من الأهداف والأولويات التي أملتها الظروف وفرضتها المتطلبات، ومن أهم هذه الأهداف التي عملنا على تحقيقها هي:

أ. بناء وتطوير القدرات العسكرية والقتالية بعد أربع تجارب مصيرية مهمة مرّ بها مجاهدو الجماعة، وهي:

1. تجربة المواجهة المفتوحة مع الاجتياح الإسرائيلي الشامل (حزيران/ يونيو 1982).
2. تجربة حرب العصابات مع الاحتلال الإسرائيلي (1982–1985).
3. تجربة قتال المدن والدفاع عن المناطق الآهلة (معركة شرق صيدا سنة 1985).
4. تجربة القتال خارج المدن، وحرب الحركة وفق نموذج القوى النظامية (1985–1991).

وكان لا بدّ من أخذ الدروس والعبر من هذه التجارب وصياغة مدرسة ذات مفاهيم قتالية تتناسب مع التحديات المصيرية القادمة.

---

[113] المرجع نفسه.

[114] المرجع نفسه.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

ب. متابعة القتال وفق نهج حرب العصابات في المناطق الجنوبية المحتلة بالتنسيق مع سائر فصائل المقاومة الإسلامية، لاستنزاف العدو، وإرغامه على الانسحاب من كل الأراضي اللبنانية المحتلة، وكانت معسكرات الجماعة هي المدرسة التي تخرج منها هؤلاء الأبطال، ففي 1985/10/11 تخرج من هذه المدرسة أحمد بغدادي الذي انطلق إلى عمق الجنوب اللبناني في منطقة الصالحاني – قضاء بنت جبيل ليهاجم العدو الإسرائيلي في مواقعه ويستشهد هناك[115].

كما تخرج من هذه المدرسة علي نمر خليل الذي اخترق الحزام الأمني في منطقة جبل باسيل حتى استشهد في 1986/3/9[116].

يقول قائد معسكر بدر في شرق صيدا:

> كنا ندرب في معسكر الزيتون شرق صيدا (جزء من معسكر بدر) في دورة تأهيل كوادر وقادة فصائل، وكانت الدورة في مخيم مغلق مدته 15 يوماً. قبل انتهاء الدورة بيومين طلبت القيادة التنفيذية[117] من قيادة المعسكر تسريح الأخ المجاهد الشاب حسن الكبش ليشارك في عملية نوعية ضدّ العدو الإسرائيلي اللحدي المشترك، في عمق الجنوب المحتل، فتوجه مع ثلة من إخوانه المجاهدين لاقتحام موقع علمان – الشومرية، وأثناء اختراق الموقع مع مجموعة من المهاجمين سقط المحارب الشاب شهيداً في 1987/4/19[118].

واستمرت المدرسة بالبناء، والعطاء، واستمرت معها قوافل الأبطال الذين صمموا على الإعداد والجهاد في سبيل الله، ففي: 1987/12/12 سقط حسين عبد الجواد شهيداً في تلة السويداء، في عمق الجنوب اللبناني المحتل[119].

وكان الامتحان الأصعب لهذه المدرسة الجهادية هو في قبولها تنفيذ عملية نوعية خطرة تقضي باختراق الشريط الحدودي مع فلسطين المحتلة لمهاجمة

---

[115] المرجع نفسه.

[116] المرجع نفسه.

[117] القيادة التنفيذية التي تنسق بين الجماعة وحزب الله في الجنوب.

[118] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.

[119] المرجع نفسه.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

العدو الإسرائيلي في مواقعه داخل فلسطين، فكان على مستوى التنفيذ أن يرقى إلى مستوى الوحدات الخاصة[120].

انتخب لهذه العملية سمير ناجي (أبو حمزة)، المتفرغ في معسكر بدر، وهو من أركان هذا المعسكر في التدريب والحماية، وزكريا حجير المرافق لأبي حمزة في مهماته وعمله، ومحمد شبلي الذي كان طالباً متطوعاً في العمل. خضع المجاهدون الثلاثة لتدريبات مكثفة في تقنيات التسلل، واختراق العوائق، وتكتيكات القتال المتنوعة، والدقة والسرعة في استخدام السلاح وغيرها من الأمور التي تساعد في مثل هذه المهمات الصعبة. انطلق الثلاثة وعلى مسافة مئتي متر من الأسلاك الشائكة للحدود عند منطقة حولا، وعند الظهيرة من 1989/3/22 اصطدمت المجموعة بدورية للعدو الصهيوني مما أدى إلى اشتباك عنيف تدخل فيه الطيران الإسرائيلي، وبعد خسائر كبيرة في صفوف العدو سقط الثلاثة شهداء على أبواب فلسطين المحتلة، حيث سميت هذه الملحمة بـ"عملية شهداء غزة"[121].

ولم تقف آمال وتطلعات المجاهدين على الجهاد في البر بل تعدته لتخطط وتنفذ عمليات في البحر أيضاً، كان المجاهد عبد الرحمن المسلماني هو صاحب هذه الفكرة الجريئة والخطرة. ومع الإعداد المستمر والجاهزية الكاملة تحولت الفكرة إلى واقع، فاصطحب معه المجاهد فهد أحمد معروف في زورق مطاطي ليعبرا به الحدود اللبنانية الفلسطينية عند رأس الناقورة لمهاجمة زورق الحراسة الإسرائيلي عند هذا الخط. وقد أدى هذا الاشتباك غير المتكافئ تقنياً إلى استشهاد الأخوين في 1990/6/23[122].

كانت هذه المرحلة هي من المراحل المضيئة في تاريخ الجماعة الجهادي في نظر الجمهور الصيداوي بشكل خاص والجمهور اللبناني بشكل عام. وكان هناك نقاش دائم وتبادل لوجهات النظر بين قادة وكوادر العمل العسكري فيما بينهم، وبين القيادة العسكرية والسياسية من جهة ثانية[123].

---

[120] المرجع نفسه.

[121] المرجع نفسه.

[122] المرجع نفسه.

[123] المرجع نفسه.

إزاء هذه الأسئلة وإزاء هذه المرحلة الصعبة والغنية رأت القيادة العسكرية ضرورة رسم استراتيجية واضحة، توحد المفاهيم، وتحدد الحوافز، وترسم الخطوط العامة للعمل العسكري، حتى يتسنى لكل قائد وكادر التعامل مع منهج واحد وفق مفاهيم استراتيجية موحدة. من هنا دخلت مناهج جديدة إلى العمل، وارتقت المستويات التكتيكية إلى المستويات الاستراتيجية، ولم تعد كراسات التكتيك المتعلقة بالكمائن، والإغارات، والمسيرات، وأساليب الدفاع والهجوم وغيرها من المواضيع هي المواد الوحيدة والأساسية في ثقافة العمل العسكري، بل تعدت ذلك إلى دروس الاستراتيجية المتعلقة بالأهداف، والوسائل، والجدوى، والتحالفات، والاقتصاد بالقوى، وكيفية أخذ القرار، والعلاقة بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية، وغيرها من الأمور المهمة التي طرحت حلولاً جذرية لكثير من المفاهيم التي كانت تعدُّ من القضايا الخلافية، وبالتالي تسلح العمل الجهادي بالرؤية الواضحة، إضافة إلى الفكر المرتكز على عمل ميداني حقيقي بعيداً عن البيروقراطية القاتلة[124].

ج. الدفاع عن المناطق المحررة؛ قبل أن نبدأ بالتحدث عن الترتيبات العسكرية لحماية المناطق المحررة في صيدا وضواحيها الشرقية علينا أن نُذكّر بالجو العام الذي كان سائداً في تلك الفترة، فبعدما تقدم المجاهدون في عمق المناطق التي تسيطر عليها "إسرائيل" وعملاؤها اللحديون، أحدث ذلك إحباطاً في نفوس العملاء، فبدأت قيادتهم بالتحضير والإعداد الجدي للعودة إلى تلك المناطق، من خلال هجوم شامل تستخدم فيه الدبابات والآليات العسكرية المقدمة من "إسرائيل"، بالإضافة إلى حشد شامل لكل القوى العميلة. وبعد استكمال هذه التحضيرات صرح قائد القوات العميلة أنطوان لحد بما يلي: "إننا قادمون لاحتلال مدينة صيدا، وإني أعدكم بأنني سوف أشرب نخب الانتصار في مسجد الزعتري". وشاع هذا التهديد بين أبناء المدينة وقواها الحية، وأحدث استفزازاً كبيراً في صفوف الجمهور الصيداوي. وكان هذا الموضوع هو العنوان الأساسي لخطب الجمعة في المدينة وضواحيها المحررة. وفي هذا السياق قام محرم العارفي بالاجتماع مع المسؤول العسكري للجماعة في تلك الفترة، وسأله عن القوة التي تمتلكها الجماعة للرد على هذه التهديدات بما يليق بكرامة المدينة. وبعدما أخذ الشيخ محرم الرد الشافي المتعلق بقوة ومنعة المدينة وضواحيها المحررة،

[124] المرجع نفسه.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

صعد المنبر وألقى خطبة رفع فيها المعنويات وحثّ الشباب على الجهاد، وتوعد الأعداء من العملاء، وقال لهم: "انزلوا قبل أن نصعد إليكم، فإذا جاء اليوم الموعود، فوالله إن جنود الله الأبرار لن يتوقفوا عن الزحف حتى يؤدوا صلاة الجمعة في قلب جزين"[125].

هذا هو الجو العام الذي كان سائداً في المدينة في تلك الفترة، إذ رأى كل مواطن صيداوي أنه معني بهذا التحدي، فتوافد الشباب للانضمام إلى صفوف الجماعة للمشاركة في تحمل عبء الدفاع. ولكن بحكم المهنية والمسؤولية قامت القيادة العسكرية بدراسة الواقع الجغرافي والديموجرافي للمنطقة، كما قامت بتحديد الأولويات الدفاعية، والمتطلبات الأساسية، البشرية واللوجيستية، بغية وضع خطة شاملة للدفاع عن المناطق المحررة والتي ارتكزت على ما يلي:

أ. منطقة الإنذار المبكر وهي عبارة عن دوريات على حدود مناطق العدو وفي عمقه.
ب. خط الإسناد وقوامه الأسلحة الثقيلة، لمساندة الدوريات، وتدمير العدو المتقدم.
ج. منطقة الدفاع المرن المحمي بخطوط إمداد لوجيستي، ومحاور للهجمات الردية المعاكسة.
د. منطقة الدفاع الصلدة أو المصيدة[126].

وقد تضمنت هذه الخطة الكثير من التفصيلات، التي سُطِّرت في كراسات التدريب والتخطيط، وتمّ التأكد من صدقيتها، من خلال المناورات الحية والتجربة الميدانية. وفي الترتيبات، أو الأحداث التي تتعلق بالدفاع عن المناطق المحررة يصعب سرد كل الأمور المتعلقة بهذا الشأن، ولكن يمكن أن نتوقف على بعض المحطات المهمة، منها[127]:

أ. نتيجة تصاعد وتيرة عمليات المقاومة في الجنوب اللبناني المحتل من قِبل مجاهدي قوات الفجر، الجناح المقاوم للجماعة الإسلامية، كانت معسكرات الجماعة تتعرض لقصف الطيران الإسرائيلي بشكل مدمر، لذلك اتخذت ترتيبات عسكرية للدفاع السلبي عن المنطقة، منها ترك المجاهدين لأماكن سكنهم، والانتشار والمرابطة في المغاور والأحراج والمناطق المغطاة. كما تمّ إدخال الأسلحة المضادة للطائرات للدفاع

[125] المرجع نفسه.
[126] المرجع نفسه.
[127] المرجع نفسه.

عن المعسكرات مثل الرشاش الثنائي الثقيل المحمول من عيار 14.5، وصواريخ من طراز سام 7 أو Sam 7 التي كانت محدودة العدد والفاعلية في مواجهة أقوى سلاح للجو في منطقة الشرق الأوسط.

ب. عندما كانت تزداد حركة الإخوة في المعسكرات كانت تتعرض للقصف العنيف والمركز من قبل مدفعية جيش العميل لحد، مما يضطر قيادة المنطقة للردِّ على القصف بقصف مماثل، بعد أخذ الإذن والقرار من قبل قيادة الجماعة. وفي هذا المجال كان أداء ضباط الرمي مؤثراً ودقيقاً، وكانت الأسلحة المستخدمة في المعارك النارية تتألف من مدافع الهاون من عيار81 ملم و120 ملم، وراجمات الصواريخ من عيار 107 ملم، وغيرها من الأسلحة المكافئة.

ج. من المهمات الأساسية الملقاة على عاتق المعسكر إرسالُ دوريات استطلاعية أو قتالية إلى عمق مناطق العدو عن طريق التسلل لتنفيذ "كمين" أو "إغارة" أو غير ذلك من المهمات الخطرة. يقول قائد المعسكر: "استغرق تدريب نخبة من الإخوة تدريباً إضافياً لمدة سنتين لاختيارهم وتكليفهم بمهمة الدوريات التي تعمل خلف خطوط العدو، ففي أيار/ مايو وحده من سنة 1989، نفذت سرية الدوريات 29 دورية، أي بمعدل دورية واحدة كل 24 ساعة". ويتابع القائد قائلاً بعد عودته من إحدى الدوريات الشاقة، "إن أكثر منطقة أشعر فيها بالقوة والأمان هي أقرب نقطة يتواجد فيها العدو. من هناك نعرف نواياه ومن هناك نقطع أنفاسه".

د. من المهم أيضاً أن نشير إلى انضباط وأخلاقية المجاهدين في العمل العسكري، فقد "قامت إحدى الدوريات بالتسلل عبر خط التماس الموازي لقرية كفرفالوس وتجاوزت التلة الحمراء المشرفة على قرية أخرى مأهولة بالسكان. وانتشرت عناصر الدورية وأخذت مواقعها القتالية، وفي طليعتهم زمرة الاستطلاع والمراقبة التي رصدت تجمعات كبيرة من الناس ومن المقاتلين في زيهم العسكري اللحدي. وبعد الترصد عبر المنظار العسكري اتضح أن هناك تشييع لجنازة أحد العسكريين، والجميع يحتشد بالقرب من الكنيسة، وبعد وضع كل الأهداف العسكرية تحت مرمى أسلحة المجاهدين اتصل قائد الدورية بقائد المعسكر يطلب الإذن بإطلاق النار وتأمين المساندة النارية عند الضرورة. غير أن قائد المعسكر تمنّع عن إعطاء الأوامر واتصل بالقيادة العسكرية التي ارتأت بعد استشارة القيادة السياسية بأن عملية إطلاق النار في هذه الحالات هي عملية غير متكافئة


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

وغير أخلاقية، والعمل لا تبرره القدرة وإنما الجدوى والأخلاق. عندئذٍ أخذ المسؤول العسكري جهاز الاتصال ليعطي الأوامر على الموجة الموحدة للدورية ولقائد المعسكر قائلاً: "الشجاعة هي أن تقابل السيف بالسيف، تابعوا مهمتكم، الدورية استطلاعية فقط، السلام عليكم".

مع ساعات الفجر الأولى انسحبت عناصر الدورية بعد يوم طويل وشاق، إذ كان من الممكن أن يتعرض أي مجاهد فيها إلى الموت بعيداً عن أهله، ولكن لم يكن من الممكن أبداً في تربية قوات الفجر الإساءة إلى طهارة السلاح.

هـ. كان المعسكر الأساسي بمثابة المدرسة التي علّمت، ودربت، وأهلت العديد من الأجيال، فكل مجاهد كان يتلقى تدريباً ميدانياً في عطلة نهاية الأسبوع ويحافظ على الحراسة والمرابطة ليلة واحدة من ليالي الأسبوع نفسه، بالإضافة إلى الدروس العسكرية النظرية والمحاضرات الفكرية التي تُعدُّ الغذاء النفسي لكل مجاهد مخلص. كما كانت قيادة المناطق تنظم مناورات على مستوى عديد المنطقة الواحدة، كل فصل من فصول السنة، ليتسنى لكل المناطق المشاركة في هذه المناورات المفيدة والمهمة على مدار السنة كلها. ولكن الأهم كانت المناورة السنوية العامة التي كانت تشارك فيها كل المناطق والوحدات المركزية وقوة الميدان، وعناصر التعبئة، والأسلحة المتخصصة. يقول المسؤول العسكري في هذا المجال: "لقد كانت المناورة الأولى التي انطلقت عام 1985 هي الأصعب على الإطلاق. فأمور السيطرة والتنظيم على مستوى العديد، كانت من المهمات الصعبة التي تحتاج إلى الكثير من المراس، والتدريب، والتخطيط والمرونة، لذلك أدخلت إلى كراسات الجماعة فيما بعد كل الدروس التي تتعلق بقيادة السرية والكتيبة". ويتابع المسؤول قائلاً:

> لقد كانت مناورة عام 1989 متميزة كلياً من ناحية العديد، ووحدات التخصص والأسلحة، ومستوى القادة والكوادر وحتى بمدة المناورة التي استمرت لثلاثة أيام على التوالي، إذ غطت المهمات الدفاعية الشاطئ البحري لمدينة صيدا وحتى تلال مراح الحباس، وكفرفالوس، وكرخا، وغيرها، واستخدمت فيها الأسلحة الثقيلة، وتمّ تحديد الإحداثيات البحرية بطرق وأساليب علمية ثابتة. ومما زاد نجاح هذا العمل هو مشاركة الإخوة المجاهدين في كل من منطقة إقليم الخروب وبيروت الذين وازى مستواهم العسكري والقيادي مستوى إخوانهم الصيداويين.

و. لم تتفرد الجماعة بالاستفادة من معسكراتها في شرق صيدا بل استفادت منها مجموعات جهادية أخرى على الساحة الإسلامية، فحزب الله الذي كان يعاني في حركته العسكرية جنوباً، بسبب الخلاف والاقتتال مع حركة أمل، التي كانت تسيطر على معظم الجنوب اللبناني، رأى في معسكرات الجماعة شرق صيدا عاصمة الجنوب الملاذ الآمن والمناسب لتدريب وتأهيل عناصره. وبالفعل كان معسكر بدر هو المدرسة التأسيسية الأولى لشباب الحزب الذين تلقوا فيه أهم التدريبات التي أهلتهم لتأسيس انطلاقتهم الأولى.

ز. وفي النهاية كان لمرحلة العمل والقتال للدفاع عن المناطق المحررة ومعسكراتها المفتوحة ثمن لا يقل عن ثمن الدفاع عن مدينة صيدا أو القتال في عمق الجنوب اللبناني. فقد سقط دفاعاً عن هذه المناطق الداخلية ومحيطها الخارجي كل من:

- الشهيد أحمد بدر ظرافة 1985/9/26؛ استشهد في أثناء القصف على مدينة صيدا.
- الشهيد حسن سلمان المتفرغ في معسكر بدر، استشهد في 1985/12/20، إثر القصف المدفعي لقوات العميل لحد على أحد المحاور المؤدية إلى المعسكر. كما أصيب معه عدة إخوة بجروح.
- الشهيد الشيخ حسين أبو العردات استشهد في 1989/5/14.
- الشهيد عصام البغدادي استشهد في 1990/6/15 على أحد المحاور المؤدية إلى المعسكر.
- الشهيد إبراهيم كايد والشهيد هيثم شرَيْدة، اللذان استشهدا سنة 1991 في مهمة واحدة في أثناء المرابطة للدفاع عن إحدى التلال الحاكمة في المعسكر[128].

## 4. العمل المقاوم في البقاع الغربي:

كان للبقاع الغربي دور في العمل المقاوم خلال الاحتلال الإسرائيلي للبقاع الغربي، وكان تحت إشراف إبراهيم المصري، حيث شكلت لجنة لتنظيم العمل العسكري للجماعة تألفت من عبد الحكيم واكد، ومحمد اللدن، ونذير قدورة، وبحكم كون الأخير عسكرياً في الجيش اللبناني فإنه كان يقوم بمهمة الارتباط مع المصري، وتأمين العتاد. نفذت الجماعة الإسلامية عمليات محدودة في البقاع، واستشهد فيها محمد اللدن

[128] المرجع نفسه.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

في عملية مشتركة قام بها مع بعض المجاهدين، ومن الشهداء لهذا العمل المقاوم منير عبد الرحمن ومحمد عبد الخالق[129].

## 5. العمل العسكري في إقليم الخروب:

كانت بداية الإعداد للعمل العسكري في منطقة الإقليم مبكرة جداً فقد تزامن مع فترة ارتفاع وتيرة الخطر على منطقة الجنوب بشكل عام ومدينة صيدا بشكل خاص، وكان الإقليم يُعدُّ السند الجغرافي الأهم لعاصمة الجنوب. فقبل سنة على الأقل من الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982، كانت أحراج ووديان المنطقة مسرحاً للتدريبات الأولية لشباب الإقليم الواعد[130].

يقول أحد الكوادر الذين نشطوا في منطقة الإقليم:

> شكلت الحلقات التربوية في كل من شحيم، وبرجا، وكترمايا، ودلهون، وداريا، وعانوت، ومزبود وغيرها، البنية الأساسية للعمل الجهادي في إقليم الخروب. فمع الاجتياح الإسرائيلي للبنان في حزيران من سنة 1982، أخذ شباب المنطقة مهمات الاستطلاع على عاتقهم لمساعدة إخوانهم في قوات الفجر التي انطلق عملها في مدينة صيدا، وكانت الخطة تهدف إلى تنفيذ عمليات نوعية في مناطق ومحاور يسلكها العدو وبعيدة عن السكان خوفاً من ردة فعله القاسية بعد خسائره المتوقعة، وكانت منطقة إقليم الخروب أفضل مسرح لهذه العمليات. من الناحية الجغرافية، وبعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من منطقة الجبل أصبح الإقليم محطة المجاهدين القادمين من منطقة بيروت للتوجه إلى مدينة صيدا المحتلة، حيث عمليات التسلل الجبلية التي كانت تتم بمساعدة مجاهدي الإقليم[131].

فكما حصل في معظم المناطق التي انسحب منها، زرع العدو الإسرائيلي عملاءه، المحسوبين على قوى انعزالية، لمحاصرة منطقة الإقليم، فالحزب التقدمي الاشتراكي تسانده بعض القوى الوطنية أخذت على عاتقها القتال في منطقة الجبل بشكل عام، وقوى متعددة من بينها الجماعة الإسلامية التزمت الدفاع عن إقليم الخروب، حيث التهبت

---

[129] مقابلة أجرتها أمل عيتاني مع نذير قدورة، جب جنين (البقاع، لبنان)، 2011/7/14.

[130] أرشيف العمل الجهادي في الجماعة الإسلامية.

[131] المرجع نفسه.

الجبهة على محور بعاصير – حارة بعاصير، ومحور سبلين – وادي الزينة، ومحور داريا – عين الحَوْر، ومحور تلال حصروت – المطلة، ومحور تلة زاروط – الجية، حيث بلدة برجا المشرفة على هذا القطاع الساخن. وتميزت هذه الحرب بأمور عدة، أهمها[132]:

أ. أن هذه الحرب كانت تدور في مناطق جبلية مفتوحة.
ب. أن التلال المرتفعة والنقاط الحاكمة كانت المواقع الأمثل لمثل هذا النوع من القتال.
ج. أن الأسلحة الثقيلة هي الأسلحة الفعالة في مثل هذه المعارك لطول مدى الرمي ولطبيعة المناطق الجبلية المحصنة.

في مثل هذا النوع من القتال تعاونت الجماعة الإسلامية مع الحزب التقدمي الاشتراكي الذي يمتلك الأسلحة الثقيلة والفعالة، لذلك فإن محور منطقة برجا وتلالها المشرفة على الجية حيث منطقة العملاء كان يشغلها عدد من المجاهدين في الجماعة، بالإضافة إلى عدد من عناصر الحزب الاشتراكي. والجميع كانوا يتعاونون من أجل الرمي على أهداف للعملاء بواسطة المدفع المباشر الثقيل والفعال لمثل هذه المحاور الجبلية والمفتوحة[133].

كذلك فإن العملاء أدركوا أهمية الأسلحة الثقيلة المؤثرة وذات المدى الطويل، فاستخدموا صواريخ ميلان Milan الموجهة والمضادة للدبابات والتحصينات، وكانت نتائجها مدمرة على محاور المواجهة التي أصيبت مواقعها المحصنة إصابات دقيقة ومباشرة[134].

إزاء هذه المواجهات والظروف الصعبة والخطيرة كان لا بدّ من رفع المستوى القتالي لمجاهدي الجماعة في هذه المنطقة. فتوجهت مجموعة كبيرة من مجاهدي الإقليم للتدرب على تكتيكات القتال بشكل عام، وتقنيات العمل في المناطق الجبلية المفتوحة بشكل خاص. وبقي الأمر يسير على هذا المنوال حتى انسحاب العملاء تحت وطأة ضربات المجاهدين من جميع المناطق والمحاور التي كانوا فيها، فتنفس الإقليم الصعداء واستعدت الجماعة فيه لمرحلة جديدة[135].

---

[132] المرجع نفسه.
[133] المرجع نفسه.
[134] المرجع نفسه.
[135] المرجع نفسه.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

بعد انسحاب العملاء من المناطق المحيطة لإقليم الخروب تواصلت المناطق جغرافياً بشكل طبيعي، وخصوصاً في الخط الساحلي الذي يربط الإقليم بكلٍ من العاصمة بيروت شمالاً، وعاصمة المقاومة صيدا جنوباً[136].

انتقل مجاهدو الإقليم نحو العدو المتربص بهم، والمنتشر من وادي بسري وحتى تلال كفرفالوس (حيث المحور الساخن)، لمساندة إخوانهم في منطقة صيدا. لذلك بدأ فصل جديد من فصول العمل الجهادي في الإقليم تشابه وتوازى مع العمل في صيدا وبكل تفصيلاته، نذكر منها:

### أ. مرحلة الإعداد[137]:

كان لا بدّ من قيام دورات تدريبية لتأهيل قادة مجموعات، وفصائل، ومناطق، فكانت معسكرات شرق صيدا هي المدرسة التي خرجت هذه النخب القيادية لمجاهدي الإقليم، وبالتالي أصبح لديهم فريق قيادي موزع جغرافياً حسب المناطق، وباكتفاء ذاتي.

بدأ هؤلاء المجاهدون من القادة بتدريب سائر العناصر، وفق الأولويات، وحسب المناطق، حتى أضحى عامل التأهيل النوعي في الإقليم هو الفكر السائد في أوساط أبناء الجماعة ومحيطهم المقرب.

بعد اكتمال ملاك العمل كماً ونوعاً، تمّ تنظيم المنطقة جغرافياً بما يتناسب مع انتشار الطاقة البشرية، وتوزيع المحاور، ونسبة المساحات.

تمّ تسليح الجسم العسكري بالأسلحة المناسبة، وكانت فكرة تعميم السلاح على كل مُنظَّم سائدة وفعالة، فكل الذين تدربوا وانخرطوا في العمل كانوا مجهزين بكامل حاجاتهم (الزِيّ الموحد، والأسلحة الفردية، والأسلحة الجماعية، وسائر المستلزمات).

كان هناك تأهيل مشترك دوري لكل القادة في صيدا، والإقليم، وبيروت، والعرقوب لتوحيد النهج، ورفع المستوى القيادي، وتأمين الجاهزية النوعية. يقول مسؤول التدريب المركزي في الجماعة:

---

[136] المرجع نفسه.

[137] المرجع نفسه.

لقد كان يوم تدريب القادة يوماً مميزاً، فكل الطاقات تقف إزائي، وكل التجارب تعرض أمامي، وكل الهمم تتنافس في ساحتي. الجميع يتنافس من أجل تقديم الأفضل لاختيار الأذكى والأسرع والأدق، ومن بين هذه الأعداد التي تخطت المئة، كان ملفتاً للنظر مظهر قادة وكوادر الإقليم الذين تميزوا دائماً بالطاعة والانضباط وسرعة البديهة واللياقة العالية.

بهذه البنية العسكرية وبهذا المستوى النوعي وبهذه الأعداد الوفيرة شاركت منطقة الإقليم في المناورات السنوية العامة التي كانت تجري في صيدا وامتدادها الشرقي الملاصق لمحاور كفرفالوس. وتُعدُّ مشاركة منطقة الإقليم من حيث الكَمّ والنوع الجزء الأساسي المكمِّل لخطة المناورة، وبعبارة أوضح كان مجاهدو الإقليم من الجماعة يأخذون دور أحد أجنحة المناورة الثلاثة في الهجوم أو الدفاع، أو الهجوم الردّي المعاكس أي أنهم كانوا يمثلون ثلث الوزن الحقيقي لعناصر المناورة.

### ب. مرحلة التنفيذ[138]:

شارك مجاهدو الإقليم في الحراسات والمرابطة في منطقة شرق صيدا ومحاورها الملتهبة، وبالتالي كانوا ركناً أساسياً وداعماً لإخوانهم في ردم الثغرات، وإراحة إخوانهم المتعبين من جراء الاستنفارات المتكررة.

وشارك ضباط الرمي المميزون لمنطقة الإقليم، "والذين كانوا عادة مجازون وجامعيون"، في سلاح المساندة والمدفعية للقصف على المواقع العسكرية للعملاء في منطقة شرق صيدا، بعدما تخرج هؤلاء الضباط من خلال عدة دورات تمت في معسكر بدر، وكان للمستوى العلمي والتدريب الحيّ أثر بالغ على المستوى المميز لهؤلاء الكوادر.

وقامت عناصر وكوادر النخبة من مجموعات الإقليم بدوريات على حدود وفي عمق مناطق العملاء، وكانت هذه الدوريات تأخذ طابع الاستطلاع أو الكمائن، وساعدهم في ذلك الاستفادة من خطّ الإقليم النهري الممتد من علمان إلى جون، إلى التلال المشرفة على منطقة بسري للمراقبة الجانبية. وبذلك يكون محور شرق صيدا قد امتلك خَطيّ مراقبة؛ الخط الشرقي لمدينة صيدا، والخط الشمالي لنهر الأولي.

[138] المرجع نفسه.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

لقد كانت خطة الدفاع عن مدينة صيدا ومحيطها الشرقي تلحظ القوة المساعدة الأساسية القادمة من منطقة الإقليم، لذلك أدرجت سراياهم في ملاك القوة المدافعة عن هذا الحيِّز الجغرافي الواسع. ومن أجل تسهيل هذه العملية تمّ وضع سلاح سرية كاملة في منطقة صيدا للانتقال السريع من الحالة المدنية إلى الحالة القتالية دون توتر، وكسباً للوقت، وبعيداً عن أعين المراقبة التي كان يجيد استخدامها مأجورو العملاء.

بقي الحال على ما ذكرنا حتى سنة 1991، حيث تمّ تنفيذ اتفاق الطائف الذي نصّ على سحب السلاح من جميع القوى، والأحزاب، والميليشيات، عدا سلاح المقاومة المتمثلة بحزب الله. مع التنبيه إلى أن الجماعة التي لم تعترف يوماً بأخلاقية الحروب الداخلية، احترمت تنفيذ الاتفاق على الرغم من دورها الريادي في العمل المقاوم[139].

## رابعاً: العمل العسكري في المخيمات الفلسطينية:

### 1. مخيمات صور:

مع بداية الإعلان عن انطلاقة الثورة الفلسطينية في النصف الثاني من ستينيات القرن العشرين، وقبل أن تصل أي من تشكيلات الفصائل العسكرية إلى مخيمات لبنان، وصلت قوات جيش التحرير الفلسطيني إلى مخيمات الجنوب، وتحديداً إلى مخيم الرشيدية. كان الشيخ ر يتولى إمرة بعض هذه التشكيلات، ونظراً لقربه من حركة الإخوان في قطاع غزة، تواصل مع قيادة الجماعة الإسلامية في لبنان، التي كانت قريبة عهد في الارتباط مع الإخوان الفلسطينيين، وطلب منها أن توفر له أموالاً لدعم أنشطته العسكرية في الجنوب، وبعد الموافقة على طلبه، وتزويده ببعض الأموال، أشارت عليه قيادة الجماعة في لبنان أن يرعى الإخوان الفلسطينيين؛ فزودهم بالسلاح، ويسر لهم سبيل التدريب في مواقعه، غير أن هذه العلاقة لم تستمر بسبب طلبه منهم أن يلتحقوا بتشكيلاته العسكرية، وهذا ما كانوا يرفضونه[140].

شهدت فترة منتصف السبعينيات حالة نهوض إسلامي ملحوظ في أوساط الشباب الفلسطيني، في مخيمات صور تحديداً، وفي مخيم الرشيدية على وجه الخصوص. الأمر

[139] المرجع نفسه.

[140] مقابلة شخصية مع إ.م (اعتذر عن كتابة اسمه الصريح).



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الذي أدى إلى نشوب أكثر من عملية احتكاك وتوتر مع عناصر التنظيمات الفلسطينية؛ خصوصاً تلك التي كانت تتبنى الفكر الماركسي، يومها، مثل الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. ومع تزايد حالة المدّ الدعوي في أوساط الشباب وبين الناس، بدأت تظهر الأنشطة الجماعية لشباب الجماعة في مخيم الرشيدية بشكل علني ولافت، يواكبها بداية تحرك شباب الجماعة في مخيم برج الشمالي، وباقي المخيمات الفلسطينية، والتجمعات السنية في منطقة صور. فقامت الجبهة الديموقراطية باختطاف الأستاذ ف.ص لظنهم بأنه مسؤول الجماعة في المنطقة، واقتادته إلى جهة مجهولة. لم يكد يصل خبر اختطافه حتى تنادى جميع إخوان المخيمات، إلى الرشيدية. وقررت قيادة المنطقة، المؤلفة من أ.أ.ع، ور.ر، وم.ش، والشهيد فيصل ناصر، الاستنفار في أوساط شباب الإخوان، إضافة إلى استمرار الاتصالات مع باقي الفصائل، إلى أن تمّ الإفراج عنه. وفي اليوم التالي حضر الشيخ ف. والأستاذ إ.م من قيادة الجماعة الإسلامية، إلى مخيم الرشيدية، للاطلاع على الموقف، وتمّ في تلك الزيارة إقرار تزويد الإخوان في المخيم بالسلاح الفردي، كتعبير عن الشوكة ومنعة الجانب. وهكذا، شكلت هذه الحادثة نقطة تحول في شكل العلاقة بين شباب الجماعة وباقي فصائل الثورة، حيث بدأت تتعامل معهم كطرف له تأثيره ودوره في المخيم تحديداً، والمنطقة بشكل عام[141].

وبعد المعارك التي وقعت في لبنان إثر أحداث 1975، أعلنت فصائل الثورة الفلسطينية حالة التعبئة والتجنيد الإجباري في مخيم الرشيدية. فالتحق كل من فيصل ناصر الذي كان من رموز العمل الإسلامي في المخيم، وكان منتظماً في الوقت نفسه في صفوف حركة فتح، وحسني عبد الله، وعصام موسى، وهما من الشباب المسلم في الرشيدية، بحركة فتح وتحديداً بالكتيبة الطلابية. وهذا الالتحاق قد يكون مبنياً يومها على توجّه لدى أبناء الحركة الإسلامية في المخيم بالانضمام إلى فتح بعد موجة من عمليات الاستهداف التي أصابتهم، خصوصاً من بعض القوى اليسارية. وحركة فتح يومها كانت الأقرب إلى الإسلاميين، وكانت بحسب توجهها تستوعب كل التيارات اليسارية، والقومية، والعلمانية، والدينية. شارك الشبان الثلاثة حركة فتح في معارك العيشية، واستشهدوا في 1976/10/21، ونظمت لهم في مخيم الرشيدية جنازة مهيبة[142].

---

[141] مقابلة شخصية مع م.م (اعتذر عن كتابة اسمه الصريح).

[142] رأفت مرة، **الأحزاب والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 39–54.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

ومع انضمام الشباب المسلم من مخيم الرشيدية إلى الجماعة الإسلامية في أواسط السبعينيات، شارك هؤلاء في تنظيم المجاهدون الذي استحدثته الجماعة الإسلامية في أثناء الحرب الأهلية في لبنان سنة 1975. حيث رابط هؤلاء في مناطق الأسواق التجارية ورأس النبع، وبعض مناطق مدينة صيدا. وفي أثناء الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان في 1978/3/14 شكل أبناء الحركة الإسلامية قوة عسكرية رابطت في شرقي المخيم، واتخذت موقعاً لها هناك، لكنها لم تحتك بالاحتلال ولم تشتبك معه؛ لأن الاحتلال الصهيوني لم يواصل تقدمه إلى مشارف المخيم، وظلّ بعيداً عن منطقة صور[143].

وحصل أعضاء الحركة الإسلامية في مخيم الرشيدية على تدريبات عسكرية في أثناء التجنيد الإجباري، أو في أثناء انضمامهم للفصائل الفلسطينية، أو من خلال عمليات التدريب التي نظمها بعض الإسلاميين الذين كانوا في صفوف حركة فتح. غير أنه مع الاجتياح الإسرائيلي للبنان في حزيران/ يونيو 1982، قررت الحركة الإسلامية في مخيم الرشيدية تشكيل قوة عسكرية، استطاعت تنفيذ عدد من العمليات، وتعاونت المجموعات العسكرية للحركة الإسلامية بعد الاجتياح مع عدد من القوى اللبنانية، غير أن الدور الأساسي الذي لعبته هذه المجموعات كان خلال حرب المخيمات، حيث تصدى المجاهدون للعدوان الذي تعرض له المخيم سنة 1986، وقدمت الحركة الإسلامية عدداً من أبنائها شهداء، منهم علي نمر خليل، أحد القادة الميدانيين للمقاومة الإسلامية في جنوب لبنان، والذي استشهد في 1986/3/9 في معركة عنيفة[144].

كما تعاون أبناء الجماعة الإسلامية في مخيم الرشيدية مع أبناء الجماعة الإسلامية في مدينة صيدا، في الفترة 1985–1990 في أثناء ما يعرف بأحداث شرقي صيدا، حيث مارس الفلسطينيون دوراً في هذه المعارك دفاعاً عن مدينة صيدا، واستشهد من أبناء مخيم الرشيدية في معارك شرق صيدا نبيل سعد الدين، في 1985/3/18، وكان قد ترك مقاعد الدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت، والتحق بالمجاهدين[145].

ومنذ اللحظات الأولى لاشتعال شرارة الحرب التي أطلقتها حركة أمل على مخيم الرشيدية، قررت قيادة الجماعة في المخيم التي كانت تضم الشيخ س.ن،

---

[143] **المرجع نفسه**.

[144] **المرجع نفسه**.

[145] **المرجع نفسه**.

والشيخ م.إ، وع. ي، والشهيد منير موسى، وآخرين، المشاركة في واجب الدفاع. فتم تشكيل المجموعات العسكرية واختيار مواقع محددة على أطراف المخيم؛ قبالة المحاور التي كان من المتوقع تقدم قوات حركة أمل منها لاقتحام المخيم[146]. فاتخذوا موقعاً في الجهة الشمالية من المخيم المواجهة لمنطقة الشواكير، وموقعاً آخر في المخيم القديم يعرف بـ"الدبة" أي التلة[147]. وقد قام أبناء الجماعة الإسلامية في مخيم الرشيدية بدور كبير في عملية الإغاثة في أثناء حرب المخيمات، كما كان لهم دور كبير في الجوانب الاجتماعية في الحصار، كتفقّد أحوال الناس، وتقديم مساعدات للمرضى أو لكبار السن، والقيام بجولات على مواقع المقاتلين[148].

وفي مخيم البرج الشمالي، شهدت سنة 1978 بدايات العمل العسكري للجماعة الإسلامية، حيث تمّ تشكيل مجموعة عسكرية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، بعد أن كانت المعلومات تشير إلى تقدم القوات البرية الإسرائيلية باتجاه المخيم، الأمر الذي دفع المسؤول التنظيمي في المخيم وليد ديب، إلى دعوة الشيخ ع.ع، ومحمود م، وو.ن، وأبو م.ن، وآخرين، لدراسة الموقف واتخاذ القرار المناسب، فاتخذوا قراراً بضرورة التسلح لكي يتمكنوا من المشاركة في الدفاع عن المخيم، وتمّ التوافق على التزود بالسلاح من حركة فتح.

وقد باشرت هذه المجموعة بمهام الحراسة، ضمن تشكيلاتها، واشتركت في خطة الاستنفار التي أعدتها الفصائل. ولكن لم تحصل مواجهة بين الطرفين، وذلك لأن الاحتلال لم يصل إلى المخيم، بل ظلّ في منطقة البازورية[149]. واستمرت في عملية الحراسة والاستنفار حتى نزوح غالبية سكان المخيم، ومغادرة كافة القيادات العسكرية له، تبعهم بعد ذلك العناصر من مختلف الفصائل. وبعد أن وجدوا أنهم هم المجموعة الوحيدة المتبقية من تشكيل الاستنفار، قرروا المغادرة والانتقال إلى صيدا. تمّ ذلك بعد أن كانت قوات الاحتلال قد تجاوزت المخيم، ووصلت إلى منطقة جوار النخل التي تبعد نحو عشرة كيلومترات شمالي مخيم البرج. ثم عادوا مباشرة بعد انسحاب قوات الاحتلال

---

[146] مقابلة شخصية مع م.م.

[147] رأفت مرة، **الأحزاب والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 39–54.

[148] **المرجع نفسه**.

[149] **المرجع نفسه**، ص 60–65.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

من أطراف المخيمات، ولكن من غير أن يعيدوا تشكيل المجموعة، أو أي تشكيل عسكري. واستمروا على هذه الحال حتى اجتياح سنة 1982.

وفي 1982/6/4، وقع قصف إسرائيلي شديد لعدد من المواقع الفلسطينية. فشكل أعضاء الجماعة في المخيم حينها مجموعات عسكرية أخذت أسلحة فردية (بنادق) من حركة فتح، وتصدت مع الفصائل الفلسطينية للدبابات الإسرائيلية، التي بدأت تهاجم من عدة جهات. ولكن المخيم سقط ونفذ الاحتلال الصهيوني حملة اعتقالات، وتمّ اعتقال مجموعة من أعضاء الجماعة في المخيم منهم؛ الشيخ علي عبد الله، ووليد نوح، وعلي بركة[150]. وبعد خروج أعضاء الجماعة في المخيم من معتقل أنصار، جمعوا أنفسهم وأعادوا تنظيم صفوفهم وقرروا البدء بمقاومة الاحتلال، بينما حرصت مجموعة من شباب الجماعة ممن لم يعتقلوا وظلوا في المخيم، على جمع الأسلحة التي تركتها الفصائل الفلسطينية[151].

تواصل أعضاء الجماعة في مخيم البرج الشمالي مع بعض قيادات الشيعة الملتزمين، وجرى التعاون في بعض الأعمال قبل الانسحاب الإسرائيلي من منطقة صور في نيسان/ أبريل 1985. وأسهم أعضاء الجماعة في المخيم في الدفاع عن مدينة صيدا. وكان من بين هؤلاء شابان استشهدا شرق صيدا ومعهما شاب ثالث قتلتهم الكتيبة 91 من الجيش اللبناني سنة 1990، وهما إبراهيم كايد وهيثم شرَيْدة، في وقت كانت فيه قيادة الجماعة تفاوض الجيش اللبناني على تسليم مواقعها في شرق صيدا[152].

وفي مخيم البص، لم يكن قد انضم إلى تنظيم الجماعة أحد من شباب مخيم البص عندما بدأت أحداث حرب 1982، وبالتالي لم يوجد للجماعة أي تشكيل عسكري، أو حتى أفراد عسكريين، سوى أن العمل الدعوي الذي كان في بدايته، أسهم في وجود عدد من شباب المخيم المتدينين الذين يحملون فكر الجماعة، ويكنون لكوادرها ومشايخها مودة واحتراماً، ويبدون ميلاً نحوها، ويقيمون علاقات شخصية مع رموزها وقياداتها في المنطقة. ضمن هذه المعطيات، ومنذ الأيام الأولى لتمركز قوات الاحتلال داخل المخيم وعلى أطرافه، تداعى قرابة أربعين شاباً إسلامياً مقرباً من الجماعة، وفي مقدمتهم

[150] المرجع نفسه.

[151] المرجع نفسه.

[152] المرجع نفسه.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الشيخ م.ب، والشيخ ح.ق، وأبو ع، وأ. مهاوش، وهـ.ق، وج.ق، وم.ش، والشهيد سمير ناجي، وآخرون، وتوافقوا على ضرورة القيام بعمل عسكري لمقاومة قوات الاحتلال المتمركزة في المنطقة.

تولى الشيخ م.ب التواصل مع الشيخ س.ن المسؤول التنظيمي للجماعة في المنطقة، للاتفاق على مصدر موثوق يكون قادراً على تزويدهم بالسلاح، فتم التوافق على اختيار حزب الله، الذي كان يعمل تحت اسم المقاومة الإسلامية[153]. كما استطاعت هذه المجموعة توفير بعض الأسلحة من خلال المبادرات الفردية والعلاقات الشخصية. وتوزع عناصرها إلى عدة مجموعات صغيرة، لكل مجموعة مهمة محددة ودوام عمل يتناسب مع ظروف عمل كل منهم، وبشكل لا يثير الريبة وانتباه العملاء أو الإسرائيليين. واستفاد بعض الشباب المسلم في المخيم من مشاركتهم في عدد من الدورات العسكرية التي نظمتها الفصائل الفلسطينية والحركة الإسلامية المجاهدة، خلال الاجتياح الإسرائيلي، وقاموا بعدة عمليات ضدّ الاحتلال[154].

## 2. مخيمات صيدا:

شكل العمل العسكري للجماعة الإسلامية داخل مخيم عين الحلوة الوجه الأقوى من وجوه العمل العسكري للجماعة داخل المخيمات، ويمكن القول بأن هذا العمل العسكري كان رافعة للعمل الدعوي، الذي غذّاه انضمام العديد من الشبان الفلسطينيين إلى الجماعة تحت لواء مجموعات عسكرية قامت بتشكيلها. ومن ناحية أخرى، فإن العمل العسكري في عين الحلوة كان المنطلق العملي الأول لاستقلال الإسلاميين الفلسطينيين في عمل دعوي وسياسي يتناسب مع خصوصية وضعهم، وبالتالي، فإنه أسهم في التأسيس لوجود حركة حماس في لبنان بشكل أو بآخر.

خلال الفترة 1969–1977، لم يكن المد الدعوي قد انتشر في مخيمات صيدا كما كان عليه الحال في مخيمات صور، ومع ذلك فقد انتسب للجماعة بعض الشباب، كان في مقدمتهم محمد عبد الهادي رحمه الله، الذي كان يتولى موقعاً قيادياً في الجماعة، وم.س، ون.ب، وآخرون. ولم تكن توجد أي تشكيلات عسكرية خاصة بهم، وذلك

[153] مقابلة شخصية مع م.ب (اعتذر عن كتابة اسمه الصريح).

[154] رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 55–59.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

نظراً لقلة عددهم، ولقرب مخيمات صيدا من المدينة[155]؛ حيث تنتشر مجموعات الجماعة العسكرية في مختلف أطراف المدينة، التي كان بعضها قريباً من مخيمي عين الحلوة والمية ومية. لذلك انتظم شباب مخيمات صيدا من خلال مجموعات الجماعة العسكرية في منطقة صيدا.

وخلال الفترة 1978–1981، كانت منطقة مخيمات صيدا ما تزال مرتبطة مع مدينة صيدا، ولم يكن لها أي تشكيل أو نشاط أو حتى مهام عسكرية مستقلة عن الجماعة. واستمر هذا الوضع لغاية سنة 1980، عندما شكلت الجماعة الإسلامية مجموعة عسكرية رئيسية ضمت كافة كوادرها العسكريين، تحت إمرة مسؤولها العسكري في الجنوب، الشهيد جمال حبال. تلقت هذه المجموعة سلسلة دورات، واستمرت في برامج تدريب وتعبئة داخلية مكثفة، وتلقت دورات أخرى عبر تشكيلات حركة فتح التي كانت الكتيبة الطلابية أحدها. وكان لهذه المجموعة مهام أخرى مثل إعداد المنهاج التدريبي والتعبوي للتنظيم العسكري. إضافة إلى ذلك تلقى م.م، الذي انضم إلى هذه المجموعة منذ بداية تشكيلها، سلسلة تدريبات ودورات مهنية ومتخصصة في مجال التصنيع العسكري، وذلك بسبب ارتباطه الوظيفي في مؤسسة علمية تطبيقية تابعة لحركة فتح[156].

وحتى اجتياح لبنان سنة 1982، لم تكن قد تشكلت للإخوان الفلسطينيين منطقة تنظيمية خاصة بهم في منطقة مخيمات صيدا، وبالتالي لم يكن قد تمّ تشكيل مجموعات عسكرية فيها. مع العلم أن عدد الإخوان في مخيمي المية ومية وعين الحلوة كان قليلاً، ولم يصل إلى حدّ تشكيل مجموعة عسكرية واحدة. وإنما كانت غالبية الإخوان الفلسطينيين تقيم في مدينة صيدا ومحيطها، وليس داخل المخيمات.

وفي مخيم عين الحلوة، في أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان، سنة 1982، قُصف المخيم بشدة، فخرجت مجموعة من أعضاء الجماعة من المخيم ورابطت عند جسر الأوّلي. وقاد ابن الشيخ إبراهيم غنيم مجموعة من الشباب التي أمطرت الإسرائيليين بالقذائف على تخوم المخيم، وصمد الإسلاميون في المخيم طيلة 15 يوماً، مما اضطر الصهاينة للبحث عن إبراهيم غنيم لمفاوضته من أجل وقف المعارك. وشكّل مجموعة من الشباب

[155] مقابلة شخصية مع م.م.

[156] مقابلة شخصية مع م.م.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

المسلم بقيادة س.م محكمة داخل المخيم، أطلقوا عليها اسم "محكمة الشعب" لتصفية العملاء[157]. شدّد الاحتلال قبضته على أعضاء الجماعة في المخيم، فاعتقل قيادات إسلامية كثيرة في معتقل أنصار[158]. غير أن هذه القيادات نشطت بالعمل الدعوي داخل المعتقل، وأعطت الدروس والمحاضرات[159].

عُقد لقاء بين م.م وجمال حبال في 1983/12/27، قدم فيه حبال عرضاً مفصلاً عن مراحل اتخاذ قرار المقاومة، وتطورات العمل، وطبيعة العمليات، والتنسيق الحاصل مع الحرس الثوري وحزب الله. وتمّ الاتفاق، في الجلسة نفسها، على عقد لقاء ثانٍ بغرض ترتيب انضمام م.م إلى قوات الفجر، والإسهام في تجنيد مقاومين في المخيمات، تمهيداً لاستئناف العمل من خلالها. لكن حبال استشهد عشية يوم اللقاء، فاستأنف م.م، الذي يسكن خارج المخيمات، بعدها اتصالاته مع هشام شرَيْدة في مخيم عين الحلوة، من أجل تجميع العناصر الإسلامية واستيعابهم في تشكيلات المقاومة، كخطوة على طريق العمل المقاوم في مدينة صيدا. وخلال شهر شباط/ فبراير 1984، اتصل د.ع.ع، بتكليف من قيادة الجماعة في بيروت، لتفويض م.م البدء في إعادة تشكيل الجهاز العسكري للجماعة في منطقة صيدا[160].

بدأ خروج أعضاء الجماعة من معتقل أنصار سنة 1984، وعُدَّت تلك الفترة وحتى بدء الانسحاب الإسرائيلي من صيدا ومحيطها في شباط/ فبراير 1985 فترة أمنية بامتياز. فقد كان الاحتلال وعملاؤه يكثفون المراقبة، والإسلاميون يركّزون على مقاومة الاحتلال وجمع الأسلحة، وتمّ التنسيق مع الجماعة الإسلامية، وبالأخص مع قائد قوات الفجر ومجموعته، وتمّ تبادل للمعلومات، وتزويد الشباب بالأسلحة مما مكّن المجموعات العسكرية من تنفيذ أكثر من عملية[161].

شارك أعضاء الجماعة في مخيم عين الحلوة في الانتشار العسكري مع الجماعة الإسلامية دفاعاً عن مدينة صيدا في مواجهة القوات اللبنانية التي كانت تهدد المخيم

---

157 رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 66–75.

158 مقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع أحمد عبد الهادي، 2015/8/18.

159 رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 66–75.

160 مقابلة شخصية مع م.م.

161 رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 66–75.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

والمدينة. وفي 1985/3/31 شنّ الفلسطينيون هجوماً معاكساً على مواقع القوات اللبنانية حول المخيمين، وفي 1985/4/20 تمكنت المجموعات من إخراج عناصر القوات اللبنانية بالكامل من المناطق المحيطة بعين الحلوة والمية ومية وإبعادهم باتجاه الشرق[162].

وفي حرب المخيمات التي اندلعت سنة 1985، كان موقف الجماعة الإسلامية في مخيم عين الحلوة معارضاً للحرب على المخيمات، وضدّ المعارك مع حركة أمل. غير أنه في سنة 1986، زادت عمليات القنص على مخيم عين الحلوة من بلدة مغدوشة المرتفعة والمطلة على المخيم، وزادت بعدها عمليات القصف العشوائي، وفي الوقت نفسه كانت المعارك في مخيمات بيروت في تشرين الأول/ أكتوبر 1986 مشتعلة، وهو ما دفع بعدد من القوى الإسلامية والفلسطينية في المخيم إلى شنّ هجوم قوي على مواقع حركة أمل في بلدة مغدوشة، فسقطت كلها بسرعة[163]، وشارك أعضاء الجماعة في المخيم بشكل محدود في هذه المعارك، لأن القرار الداخلي أن يكون الدور دفاعياً وليس هجومياً. لكن الفصائل كلها هاجمت مغدوشة، وتواجد أعضاء الجماعة الإسلامية في المخيم في محاور غير متقدمة[164]. ثم انسحب أعضاء الجماعة في المخيم، وسلموا مواقعهم للفصائل الفلسطينية، التي انسحبت مجدداً أمام هجوم آخر لحركة أمل[165].

استضاف أعضاء الجماعة الإسلامية في مخيم عين الحلوة بعض المهجرين من مخيمي شاتيلا وبرج البراجنة، وأمّن هؤلاء مساعدات عسكرية مباشرة لأبناء الحركة الإسلامية في مخيم الرشيدية، الذي حاصرته وهاجمته حركة أمل، وكانوا على اتصال عسكري مباشر مع قيادة الحركة الإسلامية في مخيم الرشيدية[166].

اشتدت وطأة الحصار على مخيم الرشيدية، وكانت الساحة الشيعية يومها منقسمة بين حركة أمل وحزب الله. تعاونت حركة أمل مع النظام السوري ضدّ ياسر عرفات والمخيمات الفلسطينية، ووقف الحزب ضدّ حركة أمل ومع الموقف الإيراني المؤيد للفلسطينيين. وكتعبير عن هذا الموقف، أوفدت الجماعة الإسلامية محرم العارفي إلى

---

[162] **المرجع نفسه**.

[163] **المرجع نفسه**.

[164] مقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع أحمد عبد الهادي، 2015/8/18.

[165] رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 66–75.

[166] **المرجع نفسه**.

المخيم ليعتصم ويتعاطف مع سكانه المحاصرين، وانضم إليه السيد عيسى الطبطبائي، وكان يعمل في السفارة الإيرانية بدمشق، وذلك من أجل تخفيف حدة التجاذب المذهبي الذي واكب تلك المرحلة إلى أن انفك الحصار، وخرج الشيخان وهما يعانيان أمراضاً حادة نتيجة انقطاع المواد الغذائية عن المخيم[167].

كانت الفترة 1985–1990 فترة عسكرية بامتياز، طغى عليها الجو الجهادي، لكن مع دخول الجيش اللبناني إلى صيدا والجنوب سنة 1990، انحسر الوضع العسكري داخل مخيم عين الحلوة، واتسع العمل الدعوي، وساد نوع من التنافس بين القوى الإسلامية على الاستقطاب. وانطلق حوار حول العمل الديني وأولوية العمل الدعوي، وإن كانت الفصائل الفلسطينية بدأت ببناء جسمها التنظيمي بعد انتهاء الأحداث والمعارك، وأخذت تتبلور صورة مشاريع وصراعات جديدة مع انطلاقة الانتفاضة الفلسطينية سنة 1987، وبدء مؤتمر مدريد للسلام Madrid Conference سنة 1991، وتمدّد حزب الله في جنوب لبنان سنة 1990، وانتشر الجيش اللبناني حول عين الحلوة والمية ومية في 1991/7/4[168].

كان لانطلاقة الانتفاضة المباركة في فلسطين سنة 1987 صدى كبير في مخيم عين الحلوة، وحظيت الانتفاضة بدعم وتأييد الفلسطينيين فيه، وبالأخص أبناء الجماعة الإسلامية الذين تفاعلوا مع الانتفاضة، ونظموا المسيرات، والاحتفالات والمعارض، بل إن الجماعة الإسلامية في مخيم عين الحلوة أرسلت مجموعات عسكرية نفذت عمليات ضدّ الاحتلال، واشتبكت معه، وارتقى أكثر من شهيد[169].

وفي مخيم المية ومية، ومع بدء الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982، قرّر أعضاء الجماعة في المخيم التصدي للاحتلال الإسرائيلي، فذهبوا إلى مسؤول حركة فتح في المخيم محمد الرباني (أبو يوسف)، للحصول على أسلحة فرفض الرباني طلبهم، وقال للشباب "هل أنتم مجانين لتقاتلوا الجيش الإسرائيلي"[170].

---

[167] إبراهيم المصري، ملاحظات على مسودة النص التي تمّ استلامها في بيروت، 2015/12/11.

[168] رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 66–75.

[169] **المرجع نفسه**.

[170] **المرجع نفسه**، ص 75–81.

وفي الفترة 1985–1991، تمّ تجنيد الإخوان وعدد كبير من المناصرين في مخيم المية ومية، وتمّ تنظيم المجموعات وتزويدها بالسلاح، وتناوب على المسؤولية العسكرية فيه ن.ش، وإ.س. أنشأت الجماعة الإسلامية في مخيم المية ومية المواقع العسكرية، وتوزع الشباب على مناطق المراقبة والدفاع، وتولت الجماعة مهمة التعبئة، والتوجيه، والتدريب، وتسيير الدوريات، وتنسيق الجهود، ودعم باقي مواقع المواجهة في المناطق الأخرى، مثل القياعة، ومكسر العبد، والهلالية. ولم يكن للفصائل الفلسطينية في سنة 1985، تشكيلات عسكرية، لأنها لم تكن قد نظمت صفوفها تماماً بعد الاجتياح الإسرائيلي، فانضم أكثر من خمسمئة عنصر إلى مجموعات عسكرية تابعة للجماعة الإسلامية[171].

وبعد الانسحاب الإسرائيلي من صيدا في 1985/2/16، وبدء معارك شرق صيدا، حاول حزب القوات اللبنانية في 1985/3/29 اقتحام مخيم المية ومية، لإزالته بسبب تداخله مع المناطق المسيحية في شرقي صيدا، وبهدف السيطرة على تلة المية ومية المرتفعة المشرفة على مدينة صيدا وباقي البلدات، وذلك من ضمن مخطط القوات للتمركز في شرقي صيدا، في إطار انتشارها العسكري هناك، المتصل بجبل لبنان وبمناطق جنوبي لبنان[172]. وقام الحزب بقصف المية ومية وعين الحلوة. عندها أعلن أعضاء الجماعة في المخيم الاستنفار في صفوفهم، وجرى تشكيل مجموعات عسكرية، ثم اتصل الشباب المسلم في المخيم بعين الحلوة، فقدّم لهم الإسلاميون هناك بعض المساعدات، وجرى وضع خطة مشتركة للمواجهة[173].

حاول الجيش اللبناني منع امتداد الاقتتال، الذي اندلع في أكثر من منطقة لبنانية، إلى محيط مخيم المية ومية؛ فأرسل الجيش قوة رابطت أمامه، وعملت على ضبط الأمن ومعالجة الاستفزازات التي يقوم بها عناصر القوات. لكنه فشل في منع اعتداء القوات، وتعرّض مخيم المية ومية لقصف شديد في 1985/3/29، وهرب الأهالي من القصف إلى صيدا، واستمرت المعركة 36 يوماً، صمد خلالها أعضاء الجماعة الإسلامية في المخيم؛ وتصدوا لمحاولات اقتحام المخيمين والبلدات المجاورة لهما، مثل منطقة سيروب والفوار

[171] **المرجع نفسه**، ص 66–75.

[172] **المرجع نفسه**، ص 75–81.

[173] **المرجع نفسه**.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

وغيرهما، والتف عموم شباب المية ومية حول قيادة الجماعة في المخيم، ومنهم معين مناع وهشام شرَيْدة. كانت الجماعة الإسلامية هي العنوان الإسلامي الأهم الذي انضمت إليه الغالبية العظمى من أبناء المخيم[174].

وكانت القوى الإسلامية الفلسطينية واللبنانية قد اتفقت على شنّ هجوم موحد ضدّ مواقع القوات اللبنانية، لكن ذلك لم يحصل. إذ غادر مقاتلو حزب القوات اللبنانية مواقعهم فجأة، وذلك بعدما انهارت مواقعهم في جبهات أخرى[175].

وفي حرب المخيمات التي اندلعت مع حركة أمل لم يتدخل مخيم المية ومية في هذه المعارك؛ حيث لا وجود لحركة أمل قرب المخيم، ولا المخيم كان راغباً في معركة جديدة. وأعضاء الجماعة في المخيم أعلنوا الاستنفار للدفاع عن المخيم فقط في وجه هجوم محتمل، وليس للهجوم على حركة أمل. وقد شارك الشباب المسلم في مخيم المية ومية في إغاثة المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان التي حاصرتها حركة أمل، وتمكنوا من إدخال مواد غذائية وطبية إلى مخيم الرشيدية قرب صور[176].

## 3. مخيمات بيروت:

خلال الاجتياح الإسرائيلي سنة 1982، لم يكن لأعضاء الجماعة في مخيم برج البراجنة علاقة تنظيمية مع تنظيم المجاهدون التابع للجماعة الإسلامية، بل تلقوا دورات عسكرية أو تدريبات خاصة مع فصائل الثورة الفلسطينية، في جنوب لبنان أو في بيروت، ومنها دورات التعبئة العامة التي كانت تنظمها حركة فتح لطلاب المدارس المتوسطة والثانوية. وفي 1982/6/6، دعي عدد من أعضاء الجماعة الإسلامية إلى لقاء في مسجد الروضة ضمّ ما يقارب الثلاثين شاباً بينهم مسؤولون في لجنة المخيم، وتمّ البحث في كيفية التصدي للاجتياح الإسرائيلي الذي كان قد بدأ قبل يومين، فتم الاتفاق على التصدي للاجتياح الإسرائيلي، الذي لم يكن قد وصل إلى منطقة بيروت بعد، وتبنوا الاتصال بجيش التحرير الفلسطيني للحصول على الأسلحة الخفيفة. وأدى التنسيق معهم إلى خروج عدد من أبناء الجماعة الإسلامية في دوريات ليلية مشتركة مع

[174] **المرجع نفسه**، ص 66–75.

[175] **المرجع نفسه**، ص 75–81.

[176] **المرجع نفسه**.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

جيش التحرير، وبالتحديد في منطقة الرمل العالي على طريق مطار بيروت الدولي، حيث كانت تتعرض تلك المنطقة لقصف جوي ليلي مكثف، وكانت إحدى المناطق المحتملة لإنزال جوي ليلي إسرائيلي فيها.

كما جرى اتصال مع قيادة تنظيم حركة فتح في برج البراجنة، وتمّ الاتفاق على مشاركة مجموعة من أبناء الجماعة الإسلامية مع أبناء فتح في تشكيلات عسكرية للتصدي للاحتلال. وبالفعل انضم ما يزيد عن 15 شاباً من أبناء الجماعة إلى قاعدة عسكرية استحدثتها فتح، تقع قبالة مدرسة الآداب، شرقي مخيم برج البراجنة. ومن هناك بدأت الجماعة مع حركة فتح بتسيير مجموعات إلى حي الليلكي الذي يقع على خطّ التماس مع بيروت الشرقية، وكان موقع الليلكي يتعرض لقصف إسرائيلي متواصل. واستمر وجود أبناء الجماعة الإسلامية مع أبناء فتح في حي الليلكي فترة طويلة إلى قبيل خروج منظمة التحرير من بيروت. وأسهموا من ذلك الموقع في التصدي للاحتلال الإسرائيلي، الذي كان يحاول التقدم باتجاه بيروت من محوري حي السلّم – الليلكي، وخاض الشباب هناك مواجهات عنيفة. بقيت الجماعة في المخيم تتسلح عن طريق حركة فتح حتى سنة 1982، إلى أن أصبح السلاح يدخل إلى المخيم عن طريق الجماعة من خارج المخيم[177].

بعد انسحاب "إسرائيل" من بيروت وانتشار الجيش اللبناني، وقبل وقوع مجزرة صبرا وشاتيلا في 1982/9/16، جرت وساطات ونقاشات من أجل تأمين انتشار سليم وآمن للجيش اللبناني في محيط مخيم برج البراجنة، ولعب بعض وجهاء المخيم دوراً في هذا المجال، وكان مسجد الروضة مكاناً لتبادل الآراء والحوارات حول هذا الموضوع، واتفق أهالي المخيم على دعوة أبناء المخيم إلى تسليم سلاحهم. وبالفعل بادر عدد من أبناء المخيم إلى تسليم سلاحهم وإلقائه على مدخل مسجد الروضة، وضمّ السلاح المسَلَّم إلى لجنة الأهالي قاذفات بي 7 أو B7 وقنابل، وبنادق، ومسدسات. ولكن رتَّب أعضاء الجماعة الإسلامية في المخيم لأخذ كمية كبيرة من هذه الأسلحة وإخفائها، وقد أخرجت هذه الأسلحة من مخبئها بعد انتفاضة شباط/ فبراير سنة 1984 وبروز مؤشرات لصِدام في محيط المخيمات[178].

---

[177] **المرجع نفسه**، ص 81–89؛ ومقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع رأفت مرة، 2015/9/9.

[178] رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 81–89.

وفي سنة 1983، شارك أبناء الحركة الإسلامية في مخيم برج البراجنة بالعمل العسكري من خلال مواقع الجماعة، وانتشرت مجموعات عسكرية من الجماعة الإسلامية على محور رأس النبع، على خلفية المواجهات بين القوى الوطنية اللبنانية والقوات اللبنانية، وتشكلت خمس مجموعات انضمت جميعها إلى محور رأس النبع[179].

أدى خروج قيادة منظمة التحرير من لبنان إلى وقوع خسائر سياسية وعسكرية، وأُقفلت مكاتب الفصائل الفلسطينية ومؤسساتها في المخيم، ولم يعد هناك هيكلية للثورة الفلسطينية[180]. وفي بداية سنة 1984، اتخذت لجنة العمل في مخيم برج البراجنة قراراً بتأهيل الحركة الإسلامية عسكرياً من خلال الاستعانة بكوادر فلسطينية ولبنانية. وكان دافع القرار عدم تكرار الاجتياح الإسرائيلي ومجزرة صبرا وشاتيلا، التي ارتكبتها ميليشيات مسيحية لبنانية بغطاء قوات الاحتلال الصهيوني في أيلول/ سبتمبر 1982، حيث قُتل فيها المئات من الفلسطينيين واللبنانيين العُزّل في المنازل والأزقة[181].

واستطاع أعضاء الجماعة في المخيم في إطار "نادي الأقصى الإسلامي" تنظيم حملة شاملة، إثر اندلاع انتفاضة شباط/ فبراير 1984 في بيروت، وهي انتفاضة القوى الوطنية اللبنانية ضدّ اتفاق 17 أيار بين لبنان والكيان الصهيوني، وشملت الحملة تنظيف الملاجئ في المخيم، وإزالة الأوساخ والردميات منها، وإضاءتها وطلائها بمادة "الكلس"، وتوزيع مئات الحصص التموينية على العائلات، وتنظيم دورة للإسعافات الأولية في مسجد الروضة، وتنظيم دورات تقوية للطلاب بسبب إغلاق المدارس[182].

وفي نهاية سنة 1984، اتخذت لجنة العمل في مخيم برج البراجنة قراراً بتشكيل مجموعات عسكرية من أعضاء الجماعة الإسلامية في المخيم لحمايته من هجمات محتملة، بدأ الحديث عنها إثر قيام مجموعات من حركة أمل اللبنانية باغتيال كادرين فلسطينيين من حركة فتح، هما: غازي الخطيب ونبيل حماد، إضافة إلى تصفية شبان آخرين من

---

[179] مقابلة شخصية مع أ.ط (اعتذر عن كتابة اسمه الصريح).

[180] رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 81–89؛ ومقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع رأفت مرة، 2015/9/9.

[181] المراجع نفسها.

[182] رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 81–89.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

المخيم، وإطلاق النار على المخيم بشكل متعمّد ومقصود. كما حاولت مجموعات من حركة أمل اقتحام المخيم، عبر أكثر من طريق، في هجمات مفاجئة[183].

في تلك الفترة جرى تشكيل ثماني مجموعات، تتألف كل واحدة منها من 8 إلى 11 شاباً، وكلفت كل مجموعة منها بالانتشار في ناحية من نواحي المخيم، خصوصاً في المواقع الحساسة. وجمعت الأسلحة من مصادر فردية، ومن مخابئ قديمة، ومن سلاح أُدخل من مدينة بيروت، وكذلك من مخبأ قديم حفره الإسلاميون بعد خروج الثورة الفلسطينية سنة 1982، واحتوى نحو عشرين قطعة سلاح، بينها مدفع هاون عيار 60 ملم[184].

في الأيام الأولى لشهر رمضان المبارك من سنة 1406هـ/1985م، تداعى عدد من إخوان مخيم برج البراجنة من بينهم خ.ع، وب.غ، وع.د، وم.ع.ح، وآخرين، وعدد آخر من الشباب الإسلامي المستقل، للتباحث في الخطوات، والإجراءات الواجب اتخاذها للتعامل مع تطور الوضع بسبب قيام حركة أمل بحصار المخيمات. وأسفرت المشاورات على التوافق على ضرورة تشكيل قيادة عامة تجتمع حولها كلمة الشباب الإسلامي في المخيم، تكون مهمتها الأساسية الدفاع وتثبيت الناس في بيوتها، والمدافعين في مواقعهم. وبناء على ما تقدم فقد تمّ تشكيل الرابطة الإسلامية لأبناء فلسطين، وتمّ الإعلان عنها في خريف سنة 1985. وتشكلت الهيئة القيادية من تسعة أعضاء، خمسة من الإخوان، هم: خ.ع، رئيساً، وعضوية كل من: ع.د، وب.غ، وم.ع.ج، وأربعة من الإسلاميين المستقلين. ولها مجلس شورى يتألف من ثلاثين عضواً، ولها قوة تدخل عسكرية، تتشكل من ستين عنصراً تقريباً؛ مسلحين ومدربين بما يمكّنهم من القيام بمهام تنفيذ قرار قيادة الرابطة، ويؤازرهم تشكيل عسكري آخر يضم نحو تسعين عنصراً، يشتركون في مهام حراسة المخيم، ويساندون قوة التدخل في صدّ الهجمات الخارجية، ولتثبيت مواقع قتالية مهددة بالانهيار.

وفي السنة نفسها، بدأت الجماعة الإسلامية في مخيم برج البراجنة بالتعاون عسكرياً مع حزب الله. وتدربت مجموعة من أعضاء الجماعة الإسلامية بالتنسيق مع حزب الله في البقاع، كما أرسلت الجماعة في مخيم برج البراجنة في السنة نفسها نحو ثلاثين شاباً

[183] المرجع نفسه.

[184] المرجع نفسه.

في أوقات مختلفة وعلى دفعات متعددة، إلى محور محطة المعلم قرب كنيسة مار مخايل الواقعة على خطّ التماس مع ميليشيات القوات اللبنانية، لمساعدة حزب الله في التصدي للقوات والكتائب، حيث كان حزب الله يقيم مواقع عسكرية هناك [185]. وتولى خ.ع مهمة التنسيق مع الحزب على هذا المحور. وشاركت مجموعة بإمرة أ.ط في مواقع المحور. وقد أشرف أ.ط في بادئ الأمر على عملية تحصين وتدشيم المواقع العسكرية[186].

وكانت هذه المجموعات تخرج سراً من مخيم برج البراجنة، حتى لا تلفت نظر الفصائل الفلسطينية في المخيم، وتنتقل مشياً على الأقدام سالكة طريق حارة حريك – محطة ذياب في بئر العبد، باتجاه محطة المعلم قرب كنيسة مار مخايل. وكان يدير ذلك المحور يومها الحاج عدنان حلباوي من حزب الله، والذي استشهد سنة 1985. كانت هذه المجموعات تتسلم أسلحتها الخفيفة في الموقع، وتمارس عمليات الاستطلاع والرقابة، ولم يحدث أن وقع هجوم عسكري، أو اقتحام في أثناء خدمة هذه المجموعات، باستثناء عمليات القنص، والقصف المدفعي الشديد، وإطلاق النار بغزارة على المواقع المواجهة[187].

شارك أبناء الحركة الإسلامية في مخيم برج البراجنة مع مجموعات عسكرية من الجماعة الإسلامية في الانتشار على محور رأس النبع، وانضمت أعداد منهم إلى مجموعات الجماعة الإسلامية، التي انتشرت في مدينة صيدا ومحيطها سنة 1985، بعد الانسحاب الإسرائيلي منها. غير أن الأداء العسكري المميز لأبناء الجماعة الإسلامية في المخيم كان في أثناء حرب المخيمات؛ إذ انتشرت مجموعاتها في عدة محاور وهي: بناية هيدوس، وبناية سليم، والبناية البيضاء قرب العنان، والمربع، والبناية الصفراء، والعاملية، والوزان. وبلغ تعداد أفراد هذه المجموعات سنة 1985 نحو تسعين فرداً[188].

لعبت هذه المجموعات دوراً مهماً في الدفاع عن مخيم برج البراجنة، منذ أن بدأ هجوم حركة أمل عليه صبيحة الإثنين 1985/5/20، (بداية حرب المخيمات)، والتحق عناصر هذه المجموعات بأماكنها المحددة، وكانوا من أوائل الذين تصدوا للهجوم،

---

[185] مقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع رأفت مرة، 2015/9/9.

[186] مقابلة شخصية مع أ.ط.

[187] رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 81–89.

[188] **المرجع نفسه**.

ودافعوا عن المخيم، واستشهد منهم فادي أبو هاشم، وصقر (منذر) حليمة، ويوسف الخطيب[189].

بعد توقف حرب المخيمات، شُكِّلت لجنة تنظيمية جديدة أعادت العمل في مساعدة الأهالي، ودفع تعويضات لأسر الشهداء، وكفالة الأيتام، وتسيير شؤون المخيم[190]. كما حصلت بعض الاعتقالات والتحقيقات في صفوف أعضاء الجماعة الفلسطينيين في مخيم برج البراجنة من قِبل السوريين[191].

كان من تداعيات حرب المخيمات، تراجع العمل العسكري للرابطة الإسلامية لأبناء فلسطين نظراً لانتهاء الحرب، وكان من بين أهداف هذه الرابطة إنشاء أطر تنفيذية فكان تأسيس الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين التي أنشأتها الجماعة الإسلامية داخل المخيم، وبقرار تنظيمي، بعد اجتماع عُقِد في منزل فيصل مولوي، وأصبح لها مقعد في لجنة رابطة الطلاب المسلمين. وكان لهذه الرابطة الكثير من الأنشطة الطلابية والدعوية والثقافية. وأصبحت الرابطة الإسلامية في نظر الأغلبية ممثلة حركة حماس في لبنان، خصوصاً بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية[192].

ومع تفكك الرابطة الإسلامية لأبناء فلسطين، بدأ الشباب الإسلامي في المخيم عموماً، ومنهم قيادة الرابطة التابعين للجماعة الإسلامية، يفكرون بشكل جدي في السفر سعياً لتحصيل الرزق أو استكمال دراستهم. وفي تلك الفترة، انتقل بعض هؤلاء الشباب إلى مدينة صيدا للمشاركة في المرابطة والتدرّب في المنطقة العسكرية التي أقامتها الجماعة في منطقة شرق صيدا. ثم أخذت هذه الحالة بالفتور والتلاشي شيئاً فشيئاً إلى أن تمت هجرة الكثير من إخوان مخيم البرج إلى دول الخارج.

وفي مخيم شاتيلا، ومع اندلاع الحرب الأهلية في لبنان سنة 1975 انضم عدد من الشباب المسلم في المخيم إلى تنظيم المجاهدون، وقوات جند الله التابعة للحركة الإسلامية المجاهدة، لكنهم لم يمارسوا دوراً قتالياً مهماً في تلك الأحداث. وحتى في أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982 لم تتمكن عناصر هذه المجموعة من مقاتلة الاحتلال

---

189 **المرجع نفسه**؛ ومقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع رأفت مرة، 2015/9/9.

190 رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 81–89.

191 مقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع رأفت مرة، 2015/9/9.

192 المرجع نفسه.

الصهيوني بشكل جماعي، إنما قام أفراد منها بذلك من خلال بعض القوى والفصائل التي كانت موجودة آنذاك[193]. وفي الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982، انتشر بعض هؤلاء الشباب في منطقة قصقص على خطوط التماس مع بيروت الشرقية، وجرح عدد منهم في الاشتباكات سنة 1984 بعد انتفاضة السادس من شباط/ فبراير[194].

لكن الأداء العسكري للشباب المسلم في مخيم شاتيلا كان أفضل في أثناء حرب المخيمات سنة 1985؛ فقد تمكّن هؤلاء من إدخال كمية من الأسلحة إلى المخيم قبل بدء الاشتباكات، وأنشأوا مواقع خاصة بهم في أطراف المخيم، ونسّقوا مع الفصائل الفلسطينية، وبالأخص مع مجموعة علي أبو طوق، وهو من أعضاء الكتيبة الطلابية في حركة فتح، التي كانت تضم عناصر ذات توجهات إسلامية[195].

## 4. مخيما نهر البارد والبداوي:

في سنة 1975، عاش مخيم نهر البارد أجواء الحرب الأهلية اللبنانية، وأنشئت اللجان الشعبية التي ضمت جميع الفصائل الفلسطينية، وتولت حراسة المخيم وتأمين احتياجاته. وكان أعضاء الجماعة في المخيم لا يتعدون العشرة أشخاص، يتقدمهم محمد أحمد شرقية، وينتمون إلى تنظيم المجاهدون، وكانوا يقومون بدوريات حراسة ليلية في الكورة، والنخلة، وددة، وتراتيج، وغيرها. وقد سافر تسعة منهم بعدها للعمل خارج لبنان[196].

شهدت سنة 1978 بدايات تحوّل لأعضاء الجماعة في مخيم نهر البارد إلى العمل العسكري؛ ففي آذار/ مارس من تلك السنة اجتاحت القوات الصهيونية جنوب لبنان، وكان ذلك دافعاً للشباب المسلم للمشاركة في المقاومة، من خلال مجموعة جند الله التي كان يتزعمها كنعان ناجي. وكان التنسيق بين الشباب المسلم والحركة الإسلامية المجاهدة (جند الله)، يتم من خلال محمد الحاج من مخيم نهر البارد، ومسؤول عسكري من جند الله يدعى عبد السلام المغربي. فأرسل الشباب المسلم في مخيم نهر البارد إلى جنوب لبنان فرقة من خمسين شاباً، انتشرت في مخيم الرشيدية وفي بلدتي إبل السقي

---

193 رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 90–92.

194 **المرجع نفسه**.

195 **المرجع نفسه**.

196 مقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع محمد الحاج، 2015/8/26.


مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

وعربصاليم، ورابطت مجموعة منهم في منطقة السعديات الساحلية بين صيدا وبيروت، وبقيت هذه المجموعات منتشرة في تلك المواقع لأكثر من شهر[197].

كانت الجماعة الإسلامية في مخيم نهر البارد تحضر كعضو مراقب في لجنة متابعة المخيم مع الفصائل، وبعد الاجتياح الإسرائيلي سنة 1982 شكلت الجماعة الإسلامية ثماني مجموعات عسكرية من خمسين عنصراً باسم "المكتبة الإسلامية"، انتشرت بسلاحها الكامل في ثمانية محاور بجوار المخيم، كما شكلت لجنة إغاثية تحت اسم "لجنة العمل الخيري الاجتماعي"، تشرف عليها الجماعة الإسلامية، وكانت هي الجهة الوحيدة التي اهتمت بالعمل الإغاثي داخل مخيم نهر البارد، بالتنسيق مع جبهة الإنقاذ. كما تمّ افتتاح مستوصف ميداني "المستوصف الإسلامي" لإسعاف الحالات الطارئة[198].

وفي أيار/ مايو 1983، بعد الانشقاق الذي حدث في صفوف حركة فتح، وبروز فتح الانتفاضة، حاولت الجماعة الإسلامية في المخيم والشيخ إبراهيم غنيم، المرجع الديني للفتوى لياسر عرفات، وبتوجيه من سعيد خلف، مسؤول المنطقة في الجماعة، التحاور مع الجانبين لإبعاد المخيم عن المواجهة، لكن الحوار وصل إلى طريق مسدود. فقررت الجماعة الدفاع عن المخيم، وحمل أفرادها السلاح، وانتشروا في مواقع دفاعية. دخلت قوات فتح الانتفاضة إلى المكتبة الإسلامية، وحاولت السيطرة عليها، ولكن أعضاء الجماعة تصدوا لها بأسلحتهم.

كانت هذه المرحلة صعبة جداً، لأنه مع دخول فتح الانتفاضة، اتسعت الرقابة الأمنية على المخيم وعلى نشاط الإسلاميين، وتدخلت المخابرات السورية بشكل أكبر في هذا الجانب، إذ كانت تتهم أعضاء الجماعة بتشكيل خلايا ضدّ السوريين، واعتقل حينها محمد الحاج وأُطلق سراحه في اليوم نفسه، بعد التحقّق من بُطلان التهمة[199]. وبعدها تدخلت بعض فعاليات المخيم ومنهم أبو هشام ليلى (أمين سرّ اللجنة الشعبية لاحقاً)، فاضطرت مجموعات فتح الانتفاضة للانسحاب من المكتبة الإسلامية[200].

---

[197] المرجع نفسه؛ ورأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 95–102.

[198] مقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع محمد الحاج، 2015/8/26.

[199] المرجع نفسه.

[200] رأفت مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان**، ص 95–102.

خلال الفترة 1983–1985، استفاد أعضاء الجماعة في نهر البارد من تدريبات في معسكر لفتح الانتفاضة في منطقة تلّ حياة، حيث كانوا على علاقة جيدة مع مسؤول المعسكر[201]. وبعد الانسحاب الإسرائيلي من شرق صيدا سنة 1985، وهجوم القوات اللبنانية على مخيم المية ومية، خرج خمسون شاباً من شباب الجماعة الإسلامية من مخيم البارد، والبداوي، وتجمعات طرابلس، وشاركوا في القتال، واستلموا محاور في شرق صيدا وبقوا فيها حتى تحررت مناطق شرق صيدا، كما شاركت مجموعة منهم بالتدريب في معسكر بدر في الشواليق، وهذا ما أعطى شباب الجماعة داخل مخيم نهر البارد قوة أمام الفصائل الفلسطينية الأخرى[202].

وفي معركة طرابلس سنة 1985، كان دور الجماعة في المخيمات ينقسم إلى قسمين، دور لوجيستي ودور عسكري. وشارك أبناء المخيمات بعمليات خلف الحدود، وتمّ إدخال السلاح إلى طرابلس وتأمين مرور بعض الأشخاص من عكار، والضنية، إلى طرابلس وكانت محطتهم المخيم، كما تمّ تهريب بعض الأشخاص عبر البحر إلى مرفأ طرابلس في مراكب صغيرة. كما شارك بعض أعضاء الجماعة في العمليات من خلف خطوط المواجهة. وكان عبد الفتاح زيادة مشرفاً على هذا العمل. وبعد ذلك أصبحت مجموعات منهم تذهب للتدريب في معسكر الشواليق. كما تمّ تشكيل لجنة ضمت مندوبين عن مخيمي البارد والبداوي تهتم بموضوع استقبال النازحين من معارك طرابلس، وتأمينهم في أماكن خارج المخيمات للحرص على إبعاد المخيمات أمنياً عن المشاكل[203].

وخلال الفترة 1985–1989، توقف العمل العسكري في الشمال، بينما صار همُّ الشارع الفلسطيني هو دعم الانتفاضة[204].

---

[201] مقابلة أجرتها رنا سعادة وفاطمة عيتاني مع محمد الحاج، 2015/8/26.

[202] المرجع نفسه.

[203] المرجع نفسه.

[204] المرجع نفسه.



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

## Al-Jama'ah al-Islamiyyah in Lebanon 1975–2000

## هذا الكتاب

يأتي هذا الكتاب استكمالاً لجهد سابق غطّى مرحلة تأسيس الجماعة الإسلامية في لبنان وحتى سنة 1975، ويتابع تأريخ خمسٍ وعشرين سنة أخرى من عمر الجماعة، وهي فترة حرصت فيها على البروز كحركة إسلامية جامعة.

في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ لبنان، استطاعت الجماعة أن تترك علامة فارقة خصوصاً في البيئة الإسلامية، فقد كانت سباقة إلى العمل الجهادي المقاوم في سنة 1982، وقدمت قبل ذلك نموذجاً راقياً من العمل العسكري الدفاعي لحماية المناطق الإسلامية خلال الحرب الأهلية اللبنانية، حيث إن سلاحها لم يتلوث بدماء الأبرياء ولا بحروب الشوارع. كما رسخت الجماعة أقدامها في العمل المؤسسي محاولة أن تسدّ ما أمكن جانباً من الفراغ الذي أحدثه غياب الدولة اللبنانية في تلبية احتياجات الناس، ودخلت معترك العمل النيابي، لتخرج بتجربة نيابية أثّرت التجربة الإسلامية في العمل العام.

اعتمد هذا الكتاب بشكل كبير على التاريخ الشفوي، بالإضافة إلى الوثائق المتوفرة، والمعلومات المنشورة، حيث أجريت مقابلات مع أكثر من ستين شخصية من رموز الجماعة وقادتها وكوادرها الفاعلة، والذين عايشوا معظم الأحداث والمواقف التي تحتاج إلى توثيق.

ISBN 978-9953-572-64-2

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب: 14-5034 بيروت - لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت